الثقافة

مجلة شهرية فكرية جامعة تصدر في دمشق

- تأسست عام ١٩٥٨م -

لغتنا رابطة تؤلف بيننا

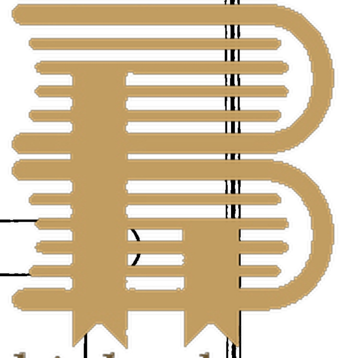
بقلم:
محمد دعاوي

اللغة عنوان رقي الأمة ومظهر من مظاهر قوة الابتكار فيها ودليل وجودها الحضاري وبرهانها الساطع على أثرها في الأمم الأخرى وجسرها للعبور من الماضي إلى الحاضر ومن الحاضر إلى المستقبل بها ينتقل تراث الآباء إلى الأبناء ويحفظ المجد الخالد، وهي أداة التفاعل بين أفراد المجتمع والرابطة التي تصهر أبناءه في بوتقة المحبة والإخاء.

تؤدي اللغة وظائف متعددة في حياة الفرد والمجتمع فهي وسيلة الفرد للتعبير عن أفكاره ومشاعره وعواطفه وبها يقضي حاجاته في المجتمع الذي يحيا فيه وبواسطتها ينقل تجربته إلى الآخرين كما أنه يطلع على تجاربهم وعلى تجارب الأمم وخبراتها واللغة هي وسيلة المرء للتحكم في بيئته لأنها أداة التفكير وثمرته إذ إننا نفكر باللغة ونشعر بوجودنا حين نفكر وهي ليست أداة للتفكير والحس والشعور فقط وإنما هي أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين والوعاء الذي يحفظ تراث الأمة وهويتها والوسيلة التي تجمع شتات الأمة وتحافظ على وحدتها وتماسك كيانها فاللغة هي المعبر عن الشخصية القومية للأمة والذات الثقافية لها.

إن روح الأمة وسر كيانها يكمن في اللغة تلك الرابطة الخفية غير المرئية بين أبناء الشعب الواحد التي تتمتع بقوة هائلة قادرة على الحفاظ على وحدته.

وإن الوعي اللغوي أمرٌ مهم جداً في عملية الحفاظ على الهوية تخليصاً للناشئة من عقدة التصاغر تجاه اللغات الأجنبية وثقافاتها. إلا أن الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتطور دون أن يفقد هويته الأصلية إذ إن الانفتاح على الثقافات الأخرى وعلى إتقان اللغات الأجنبية أمر مهم جداً على أن يكون في جو من الندية وفي منأى من الدونية والانبهار والاستلاب وليس على حساب اللغة الأم وتهميشها وعلى مثقفي الأمة كل في موقعه أن يقوم بدوره في بث الوعي اللغوي وتعزيز الانتماء للأمة ولغتها.



وإن جمود اللغة وتخلفها ونموها وازدهارها كل أولئك يرجع أولاً وآخراً إلى وضع أهليها وإلى نصيبهم من التعامل والتفاعل مع الحياة وما يجري في العالم من أفكار وثقافات ومعارف جديدة ومتنامية فإن كان لهم في ذلك كله حظ موفور تجسد أثره في اللغة وإن قل هذا النصيب أو انعدم بقيت اللغة على حالها دون حراك أو تقدم.

اللغة لا تحيا ولا تموت بنفسها وإنما يلحقها هذا الوجه أو ذاك بحسب الظروف والملابسات التي تحيط بها فإن كانت الظروف فاعلة غنية بالنشاط العلمي والثقافي والفكري كان للغة استجابتها الفورية ورد فعلها القوي تعبيراً عن هذه الظروف وأمارة على ما يموج به المجتمع من ألوان النشاط الإنساني وإن حرمت اللغة من هذا التفاعل ظلت على حالها وقدمت للجاهلين فرصة وصمها بالتخلف والجمود في حين أن قومها هم الجامدون المتخلفون.

اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع للتطور كالكائن الحي، فهي في تغير مستمر في أصواتها وتراكيبها وعناصرها وصيغها ومعانيها وإن اختلفت سرعة التغير من فترة زمنية إلى أخرى فهي موجودة على كل حال. والتغير لا يتم بطريقة عشوائية بل يسير في اتجاه منظم إذ يبدأ أولاً بالإبداع والتجديد بحدوث ذلك من فرد أو أفراد فإذا صادف ذلك التغيير قبولاً بين من يستعملون اللغة انتقل إلى مرحلة أخرى هي مرحلة الانتشار وحينئذ ينفذ إلى نظام اللغة ويصبح عنصراً من عناصرها بقوة الاستعمال ولا خوف على اللغة من تطورها إذا كان هذا التطور وفقاً لأصولها وقواعدها وقوانينها.

ولغتنا العربية شأنها شأن كل اللغات كانت في حركة دائبة فلم تعرف الركود في مسيرتها واستطاعت أن تعبر عن تجارب أصحابها وأن تطوع ثقافات متنوعة سابقة لها في الوجود بحيث شملت حضارات العالم القديم بأسرها فاحتوتها واستوعبتها وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن اللغة العربية ليست باللغة التي كتب عليها الجمود وإنما هي لغة أصيلة مرنة مطواعة عبرت عن حاجات العصر الجديد واتجاهاته فازدادت مفرداتها غنىً بالوضع تارة وبالاشتقاق تارة أخرى وتنوعت أساليبها فظهرت مصطلحات جديدة اقتضتها طبيعة العلوم والمعارف والفلسفات، فاللغة العربية تفاعلت مع كل جديد ومع كل ثقافة وافدة واستوعبتها حتى غدت منظومة حياة ومنهج معرفة وأسلوب تعبير جمالي.

يقول (بونور) مدير المعارف العام في المفوضية العليا إبان الانتداب الفرنسي على سوريا: "إن من يزعمون أن اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن مصطلحات العلم الحاضر هم على خطأ مبين فالتاريخ يثبت أن لغة الضاد كسائر اللغات الأخرى غنية باشتقاقها وكافية بكثرة تراكيبها للتعبير عن الأفكار الجديدة والارتباطات الحديثة التي تربط تلك الأفكار وإن فلاسفة العرب حين نقلوا في القرن التاسع إلى لغتهم رسائل أرسطو طاليس تمكنوا من نقل العلوم إلى لغتهم كما في عهد ابن سينا والغزالي وابن رشد فما ينكر أحد والحال هذه أن اللغة العربية صالحة لمماشاة اللغات الأخرى والتعبير عن الأفكار العلمية الحديثة".

ويصف بونور اللغة العربية بأنها "الأداة البديعة التي نحن مدينون لها بكثير من الأعمال الباهرة وبعدد من الأشكال الجميلة التي تجلى بها الفكر البشري"، ويضيف قائلاً: "إنني أهنئ العرب وأتمنى ألا يضيعوا هذا الاحترام المقدر للغتهم لأن من يدافع عن لغته يدافع عن أصله وعن حقه وعن كيانه وعن لحمه ودمه".

وقد خضعت اللغة العربية للقرآن الكريم وتأثرت به فاتسعت مادتها وتشعبت أغراضها ومعانيها بالتعبير عن عقائد الدين الجديد ومقتضيات الحضارة ومصطلحات العلوم وتهذبت ألفاظها ورقت أساليبها وأكسب القرآن الكريم اللغة عذوبة في اللفظ ورقة في التراكيب ودقة في الأداء وقوة في المنطق وثروة في

المعاني ووسع دائرة اللغة باستخدامه الألفاظ الدينية كالصلاة والصيام والزكاة والركوع والسجود والمؤمن الكافر. وكان القرآن الكريم سياجا للغتنا العربية حفظها من الضياع إبان المحن التي ألمّت بأمتنا واستهدفت لغتنا أيما استهداف.

إن أسلوب العربية يلذ الآذان حين تستمع له والأفواه حين تنطق به والقلوب حين تصغي إليه هذا الأسلوب الذي يميز عربيتنا والذي استطاع أن يفتح القلوب حين فتح العرب الأمصار فإذا أهلها مشدوهون فإذا هم يهجرون لغاتهم المختلفة إلى لغة العرب الصافية النقية نقاء أصحابها الشفافة المعبرة الأمر الذي دفع أهل تلك الأمصار إلى العربية يتقنونها ويتمثلون ملكتها وسليقتها تمثلا دقيقا نافذين بذوقهم إلى أسلوب رائع يجمع بين الجزالة والرصانة وحينا يجمع بين الرقة والعذوبة.

ويرجع انتشار العربية على الشكل الذي انتشرت فيه إلى عوامل متعددة سياسية واقتصادية ودينية بيد أن القيمة الذاتية للغة تبقى في مقدمة هذه العوامل ولقد أشار (فندريس) في كتابه (اللغة) إلى التفوق الذاتي الذي تتمتع به بعض اللغات ومن بينها اللغة العربي قائلا: "والقدرة على الانتشار التي نشاهدها في بعض اللغات الهندية الأوروبية أو السامية كاللغة العربية مثلا ترجع إلى أسباب متعددة ولكن القيمة الذاتية للغة لها في ذلك نصيب كبير".

ويقول (أرنست رينان): "من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء فبدأت فجأة في غاية الكمال سلسة أي سلاسة غنية أي غنى كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم فليس لها طفولة ولا شيخوخة ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى".

ويكمن سر سحر اللغة العربي في صدق بيانها وثبات العلاقة بين المبنى والمعنى وغنى مفرداتها حتى قالوا: "كلام العرب لا يحيط به إلا نبي" وهي رغم تكاثرها وتوالدها مع الأيام يبقى الأصل الواحد الذي ترجع إليه الكلمات بصيغها المختلفة ودلالاتها المتباينة وهو ما يحفظ مفرداتها ويصونها من الضياع ويكشف في الوقت نفسه عن الدخيل الذي لا يمت إلى العربية بنسب ويساعد أيضا في تعلم العربية إذ أن المتعلم يكفيه أن يعرف بعض كلمات الأسرة الواحدة حتى يتعرف بعد ذلك بقية أفراد الأسرة لما بينها من ترابط في المعنى ومن حروف مشتركة وفي هذا اختصار للوقت والجهد.

وقد انفردت العربية بحروف لا توجد في اللغة الأخرى كالضاد والظاء والعين والغين والحاء والطاء والقاف وهذه الميزة جعلت اللغة العربية تستغني عن تمثيل الحرف الواحد بحرفين متلاصقين فحرف الثاء لا يعرفه الفرنسيون في أبجديتهم والإنكليز يركبونه من حرفين وحرف الذال غير معروف في الأبجدية اللاتينية ولذلك لا تعرفه الفرنسية وتؤديه الإنكليزية بحرفين.

وتمتاز اللغة العربية بغزارة الاشتقاق وفيض التصريف في أسمائها وأفعالها بحيث لا تجاريها في ذلك لغة أخرى وهذا ما جعلها تساير الحضارات القديمة من فارسية وهندية وإغريقية وتركية وتَسَعُ الحضارات المختلفة من غير أن تنزل عن أصولها وقواعدها ونظامها. فالمحافظة على سلامة اللغة لا تنفي أن اللغة في تطور دائم ولا سلامة للغة إلا في هذا التطور فإذا كنا نريد للغتنا السلامة فلا تكون السلامة في الجمود ولكن في الاحتفاظ بأصول اللغة وقواعدها ونظامها ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته لأن أكمل اللغات ما واكب روح العصر واستوعب متطلباته. ولغتنا العربية واكبت وستبقى تواكب روح العصر مادام فيها من عناصر الخلود والبقاء ما يعصمها عن الجمود والتحجر وما دام القرآن الكريم ينبوع هذه اللغة ومرجعها الأول. والحفاظ على لغتنا ينبغي ألا يدفعنا إلى

التعصب والتزمت ضد كل تطور ذلك لأنه يستحيل الوقوف في وجه اللغة والحيلولة دون تطورها، فاللغة أقوىَ من أية سدود تقف في طريقها.

اللغة العربية من أخصب اللغات وأكثرها ملاءمة للتطور والاستيعاب الحضاري واحتواء منجزات العلم والمدنية بفضل ما تقدمه من مصطلحات قادرة على تلبية متطلبات التقدم العلمي والنهوض المعرفي والثقافي. يقول (إدوارد سابير): "هنالك خمس لغات فقط تشكل أهمية كبرى لنقل الحضارة إلى اللغة الصينية القديمة والسنسكريتية والعربية والإغريقية واللاتينية"، ويضيف قائلاً: "إن من المخيب للظن أن نعلم أن التأثير الحضاري العام للغة الإنكليزية لم يكن إلاّ تافهاً فإن الإنكليزية نفسها ما كانت تنتشر إلا لأن الإنكليزي استعمروا أعداداً هائلة من الأصقاع". ويقول المستشرق الأمريكي (وليم ورل): "إن اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنانها من التكيف وفق مقتضيات هذا العصر وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أية لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي". ويقول العالم الألماني (فرنينباغ) مشيراً إلى غنى اللغة العربية: "ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يمكن حصرهم وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربيةِ وبين ما ألفوه حجاباً لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة". أما المستشرق الإيطالي (جويدي) فيقول مشيداً بالعربية: "رأيي أن اللغة العربية آية للتعبير عن الأفكار وأنا لا أرغب في أن ينسى الكتاب الحاليون العلاقة بينٍ الماضي لأن في الماضي العربيٍ مجداً كبيراً وهذه اللغة العربية لعبت دوراً كبيراً في التاريخ العربي".

ويتنبأ الكاتب الفرنسي (جول فيرن) بانتصار اللغة العربية على غيرها من اللغات: "إنها لغة المستقبل ولا شك أنه سيموت غيرها في حين تبقى هي حية حتى يرفع القرآن نفسه".

اللغة العربية الفصحى هي اللغة القومية الأجدر بالتعلم، إنها لغة التراث وهي الرابطة التي تربط بين العرب وتوحد شملهم وتجمع كلمتهم لأنها أساس قوميتهم وإن أي تفريط فيها يؤدي إلى ضياع فكري يباعد بين ماضي العرب وحاضرهم كما أن تبني العامية يقود إلى تجزئة الوطن العربي وتثبيت الانفصال بين أقطاره لاختلاف لهجات العامية وتباين أنماطها. ولم تكن محاربة الفصحى من بعض الغربيينِ ومن سار في ركابهم من أبناء جلدتنا إلا لكونها الرابطة القومية التي تربط بين أبناء الأمة الواحدة في أصقاعهم كلها.

والحقيقة التي لا تقبل النقاش هي أن الفصحى هي لغتنا القومية التي لا يمكن استبدال أية لغة أو لهجة أخرى بها. وقد كانت فيما مضى عامل وحدة بين العرب وما تزال تؤدي دور الأم الرؤوم التي تجمع بين أبنائها. ومادامت لغتنا العربية الفصيحة هي اللغة الأم ومادامت الأم ترعى أبناءها وتحتضنهم وتحنو عليهم كان على الأبناء جميعاً أن يكونوا مسؤولين عن أمهم وفاءً والتزماً إذ ليس ثمة شيء أقسى وأمر من عقوق الأم ومن هنا كان على أبناء الأمة العربية كافةَ أن يغرسوا الإيمان بأصالة هذه اللغة وأن يعملوا على الاعتزاز بها في سلوكهم وتصرفاتهم وأن يكونوا قدوة أمام الآخرين في الحفاظ عليها لأنها رمز لكياننا القومي وعنوان لشخصيتنا العربية ومستودع لتراث أمتنا بها نعرف إسهامات أجدادنا في ميادين العلم والمعرفة والحضارة الإنسانية وعلى العرب أن يعوا أنه لم يبق لهم ما يجمعهم سوى لغتهم الأم الحانية.




ومضات..

شعر: عبد الكريم السعدي

شاهدتُ رسمَكَ في الأطيافِ أرقُبُها
بين الثنايا وفي إطلالةِ الشُّهُبِ
بين الأماني تراءى كُلّما لمعتْ
جذلى تُطِلُّ بأثوابِ الهنا قَشُبِ
بَوَّاحةً: من ضمير الغيبِ قد برزتْ
تُنبي عن السرِّ في شيءٍ من العجبِ
تختالُ إذ هالها الإعجابُ فانطلقتْ
وسنانَةَ الفِكْرِ نحوَ القصدِ والأرَب
إنّي لمحتُ لها شكلاً يُمَيِّزُها
ما بينَ قاصٍ ودانٍ دَونَا رَهَبِ
مالي أطالِعُها في كلّ منعرجٍ
أو كل منسربٍ أو كل منسكبِ
مالي أُبادِؤُها إحساس منفَعِلٍ
قد هزَّهُ طربٌ للشعرِ والأدب
لا غروَ فهي وإن جاشتْ عواطِفُنا
فالعقلُ يُعجَبُ فيها أيّما عجبِ
أنّا تراها تُحِبُّ الزَّهْوَ عادتَها
وتستشيرُ رُقادَ الذهنِ والشَّغَبِ
ريَّانةَ الشَّوقِ لا تهوى موادعةً
نفَّاذَةَ العِطرِ في فِكري وفي خُطَبي







تجــري بنهــرِ الغَنَــى في سلســلٍ نــزِقٍ
قــد فــاضَ عــن حــدِّهِ مــن ثــرِّهِ اللَّجُــبِ
آنــاً تطــيرُ، وحينــاً ترتَــدِي شــفقاً
قــد ضــمَّخَتْهُ أيــادِي الصُّبحِ باللَّهَــبِ
مــا أروعَ الزَّهْــوَ إن كانَــتْ أنامِلُــهُ
تجري على الحُسْنِ في مكنونَةِ العصَبِ
إنَّ اللُّغــاتِ وإن عُــدَّتْ محاسِــنُها
في كــلِّ مُرتقَــبٍ أو كُــلِّ مُنْقَلَــبِ
لــن تســتطيعَ ثباتــاً عنــدما تبــدو
أُمُّ اللُّغــاتِ وأُمُّ السِّــحْرِ والكُتُــبِ
أمُّ الكنــوزِ وتــاجُ الــدُّرِّ يَعْصِــبُها
أمُّ الجمــالِ وأمُّ اللَّحــنِ والطَّــرَبِ
قـــدْ كـــرَّمَ الله أمَّتَنَـــا بنعمِهـــا
شــهدٌ ترقــرقَ مــن مكنونِهــا الرَّطِــبِ
حــالُ اللســانِ إذا مــا صــاحَ يُعْلِنُهــا
قُرآننــا عربــي يــا أُمَّــةَ العــرَبِ
لا غــرو ذلــك، إن ســالت عذوبتــه
وإن تــرنمٍ فيهــا كــل منتســب
وقــد لمحــت لــه طيفــا يغــازلني
صــاف تطــرز باليــاقوت والــذهب
حــان عطــوف شــغوف لــيس يقهــره
إلاّ النشــاز وهــذا غايــة النصــب
يــا صــورة الحســن لا روعــت مــن كــدر
هــا قــد تكفلــك الأفــذاذ بالحــدب
هــم ثلــة المجــد في نــادي العلــى لهــم
بــاع طويــل وقصــب السبــق والغلــب







إنِّـي رأيـتُ لهـم رسمـاً يطـالعُني
بـادٍ تـأزَّرَ بـالأعلامِ والنُّجُـبِ
إذْ راح يُبْـدِعُ كُـلُّ مجتهـدٍ
آيَ الجمـالِ بفـنٍّ البـارِعِ الرَّغِـبِ
وكـانَ كـلُّ حـريصٍ يرعـى منهَجَـهُ
يسعى بسعيٍ حثيثِ الخطـوِ والسَّبَبِ
حتَّـى اسـتقرَّ لهـم رأيٌ فـأبرزَهُ
نـدٌّ يُطـاوِلُ أهـلَ العِلـمِ بالنَّسَـبِ
نـدٌّ فصـيحُ لسـانٍ حـينَ تسـمعُهُ
يرقـى إليـكَ عظـيمُ الزَّهـوِ والعجَـبِ
يـا ذا الفصـاحة حقـلُ العلـمِ ساحتُكُمْ
حقـلُ التَّبَـوُّي والإنجـازِ والرُّتَـبِ
لا غـروَ ذلـكَ، كانـت أرضُـنا أمـلا
للقـادمينَ ومهـوى الـوحيِ والطَّلَـبِ
أرضَ الجزيـرةِ أرضُ الشِّـعرِ مـن أزلٍ
أرضُ الفصـاحةِ والهجـراتِ والعَـرَبِ
والآن عـادتْ وفي شخصِ الأديـب لهـا
شـوقٌ يُمَثِّـلُ فيهـا طيـبَ الرُّطَـبِ
قـد أكـرمَ اللهِ أمَّتَنـا بقادتِهـا
ممَّـن تفـانوا وجـازوا كـلَّ مرتقـبِ
حقَّـاً فـنحنُ علـى دربِ الهُـدى فِـرَقٌ
حُـبٌّ تـأجَّجَ يجـري غـيرَ مضـطربِ
إنَّـا بـدأنا إلى الجـوزاءِ منطلقـا
لمَّـا ركبنـا لـه مـن غـابرِ الحِقَـبِ
فاسـتودَعَ المُـزْنَ آمـالاً لغايتنـا
إذْ جـادَ بـالنَّفْعِ والخيراتِ والسُّحُبِ




لغتنا والعصر

بقلم:
عيسى فتوح

عقد مجمع اللغة العربية عدة ندوات، لمعالجة ظاهرة ضعف العرب في لغتهم، هذه الظاهرة التي أخذت تستفحل وتستشري سنة بعد أخرى، بالرغم من التحذير الشديد، والتنبه اليقظ، لخطورة هذا الضعف، الذي سينعكس حتماً على ارتباط العرب بعضهم ببعض، ويُؤثر على انتمائهم وتمسكهم بعروبتهم وقوميتهم، ويطعن الدعوة إلى الوحدة العربية في الصميم... وقد استدعى المجمع عدداً من خيرة المختصين العرب وأساتذة الجامعات، والمعنيين بالقضايا القومية واللغوية، لإلقاء المحاضرات ومناقشة الأسباب الداعية إلى هذا الضعف، ورسم الخطط الكفيلة بإنقاذ اللغة العربية من كبوتها، ثم عممت التوصيات التي خرج بها المحاضرون على وزارات الثقافة والإعلام والتربية والتعليم العالي في الوطن العربي للأخذ بها، والعمل على إخراجها إلى حيز التنفيذ، فلا تبقى حبراً على ورق كأكثر ما نقرره.

إن من أمضى سنوا ت في تعليم اللغة العربية، لابد أنه صار يدرك الأسباب التي تعمل على تقويض التعليم من الداخل والخارج، وتقويض اللغة العربية خاصة، لفصل الإنسان العربي عن ماضيه، وقطع صلته بتراثه العظيم الذي يعتز به ويفاخر، ولا أزعم أنني أستطيع

في هذه الكلمة العجلى أن أحصي الأسباب كلها، ولكنني سأشير إلى أبرزها وأهمها، وكلنا مسؤولون عن معالجتها، في البيت والمدرسة، معلمين وأولياء، موظفين وعاملين في حقل الثقافة والتربية والإعلام.

ما إن نأخذ بتدريب الطفل على الكلمات الأولى، حتى نلفظها لفظاً سقيماً مضطرباً، ربما للتحبب، فيقلدها الطفل ويحفظها كما لفظناها، وليس هناك أقدر على التقليد من الطفل، وحينما يدخل المدرسة قد لا يلاقي ذلك المعلم الكفء الذي يخاطبه باللغة الفصيحة السليمة، فقلما تسمع معلماً أو حتى مدرساً يلجأ إلى التحدث بالفصحى، لأنه إذا فعل ذلك قوبل بالاستهجان والدهشة والاستغراب، لكن هذا الاستغراب لابد أن يزول مع التكرار والإصرار - إصرار المدرس على التحدث بالفصحى، وإصرار الطالب على الإقتداء به وتقليده. وحبذا لو فُرض نوع من العقوبات الشكلية على من يتحدث بالعامية من الطلاب، كأن يدفع ليرة واحدة عن كل كلمة غير فصيحة يلفظها. لكن ما الفائدة إذا كان الطالب يضيع في البيت كل ما تعلمه في المدرسة، إذ يلجأ ذووه إلى مخاطبته بلغة غير اللغةِ التي تعلمها وسمعها في المدرسة، وقلْ مثل ذلك في تعامله مع الآخرين الذين يحتك بهم يومياً في المجتمع والشارع، وهكذا يقع في التناقض، ولا يعرف أي لغة يختار، لغة المدرسة، أو لغة البيت والشارع.

وإذا كانت لغتنا العربية صعبة كما يزعم بعض الضعفاء، ولا يخلو نحوها وصرفها من تعقيدات لا معنى لها، فكيف استطاع أجدادنا إتقانها، ولم تَحُلِ الصعوبة المزعومة بينهم وبين الإبداع فيها؟ الحقيقة أنهم كانوا ينصرفون إلى التبحر فيها، ويولعون بمعرفة أسرارها وخفاياها طوال حياتهم، ويعكفون على تدارسها بكل ما عندهم من صبر وتؤدة وأناة.

من المؤسف أن طالب هذه الأيام لم يعدْ ينصرف إلى دراسة لغته ولو بعض الانصراف، ولا يمنحها من الجهد والوقت إلا القليل القليل، ولذلك لا تسلمه مفاتيحها، وتتأبى عليه، نافرة منه.

حياة الفصحى ضرورة قومية

بينما كنت أحضر حفلاً فنياً في أحد مسارح دمشق، سمعت صوت رجلين ورائي يتحدثان باللغة العربية الفصحى فتعجبت! ولما التفت نحوهما عرفت الأول منهما وكان من سورية،

وأما الثاني فدلت ملامحه على أنه من إحدى دول المغرب العربي.

أدركت وأنا أسمع حوارهما، قبل بدء الحفل الفني، لماذا يصرّ أئمة اللغة العربية وسدنتها على ضرورة استخدام اللغة العربية الفصحى في صحفنا ومجلاتنا وإذاعاتنا، وجميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، لأنها الوسيلة الفضلى والمثلى للتفاهم والتخاطب والإبلاغ.

لو أصرّ العرب على استعمال لهجاتهم العامية لانتفى التفاهم التام بين أبناء أقطارهم المترامية، وبعدت الشقة، وتقطعت الروابط، فاللغة الواحدة من أهم الروابط التي تشد العرب بعضهم إلى بعض، وتقوي علاقاتهم، وتوثق عراهم، وتجعلهم كالبنيان المرصوص.

صحيح أن العامية أكثر طلاقة ورشاقة واختصاراً، لأنها ترجمان الحياة اليومية، لكن تلك العامية لا ضابط لها، ولا نظام ولا أصول مستقرة ولا قواعد ثابتة.

أما لغة الكتابة فقد انصقلت على مرور الأيام، لأنها استعملت في التعبير منذ مئات السنين، وقيدتها الضوابط، ووُضعت لها القواعد، وحفظ لها القرآن الكريم جمالها وهيبتها ونضارتها وحيويتها، ووقف في وجه كل من يهددها أو يريد النيل منها.

لاشك في أن اللغة العامية هي تحريف للفصحى، وقد تفشت نتيجة لاختلاط العرب الخلّص بغيرهم من الأمم والشعوب بعد الفتوحات العربية، وكلما ازداد هذا الاختلاط تفشى اللحن، وازداد التحريف، وكثر الخطأ في قواعدها.

ولكي نتفادى هذا التدهور الحاصل، ونقف في وجه المروجين لاعتماد العامية وسيلة للكتابة، وإحلالها محل الفصحى، علينا أن نقرّب الفجوة الكبيرة بينهما، ونجد لغة وسطى مبسطة، لا هي بالفصحى المقعرة، ولا هي بالعامية المغرقة.

مشكلة لغتنا أنها منقسمة إلى فصحى وعامية، إلى لغة كتابة ولغة كلام، ولو كانت لغة كتابة وكلام معاً كما في غيرها من اللغات، لهان الأمر، وضاقت الفجوة بينهما، ولكن ما الحيلة إذا كان معلم العربية هو الوحيد الذي يلقي دروسه بالفصحى أمام تلاميذه، فإذا خرجوا من قاعة الدرس تخاطبوا مع الأهل في المنزل، ومع رفاقهم في الطريق بالعامية، فتهدم بذلك كل ما بناه معلم العربية.




لعنةُ دم..

شعر الدكتورة نائلة الإمام

مَنْ ذا يُحصِيهمْ عدَّا
مُقلاً مُهجا
هَاملٍ كبِدا
وَيلمُ بتنورِ الأرضِ
ما قد وَقدا
من أوصالٍ
ما قد حَصدا

* * *

غرباءُ بأكنافِ الأرضِ
أبرارٌ في زمنِ الرده
جِدٌ في دنيا مَن هزلٍ
ومواكِبُ أغيارٍ وفِدا

* * *

تلقاهم بكهوفِ الليل
في شِقِّ جبالٍ وبوادي
في جمرٍ من تحتِ رمادِ
في المقهى، في طقسٍ عادي
بإزارِ أساةٍ يغويكا
في وجهِ صديقٍ مزدوجٍ
بملامحِ ودٍ تُرديكا
قهرٌ زاحف
تذكارٌ من حِمَمٍ تغلي
وجحيمٍ رؤى بغدادِيه
وسحائبَ من دمٍ تهمي
بهشيمِ قرى أفغانيه

* * *

يا كفاً أدمى تشهُّدها
قد قبضتْ على جرِّ الجمرِ
وأقضَ الأرضِ توعدِها
يا عيناً قرَّتْ شاخصة
رويتْ من قهرٍ غلتُها

* * *







يدعونَ الموتَ لموتِهمُ
شاؤوهُ زمانا ومكانا
وأعدوا لأمرٍ عُدَّتَهُ
وهَبُوا للعُمي بصائرَهمْ
ولبُكمٍ قولاً ولِسانا
زرعوا من حيٍّ ضمائرِهم
في جسدٍ يبلى إنسانا
يا سراً قدْ جيكَ بليلٍ
برهانا يدمَغُ مَنْ خانا

* * *

في نعشِ الريحِ شظاياهمْ
لا نعيَ لهم
لا أنباءَ
تتشدقُ عن مكرمةٍ
قد أسدَوها لعبيدِهِمُ
لا موكبَ دمعٍ يتبعُهم
تتأوّهُ فيه الموسيقا
موجٌ مِن خفقِ الراياتِ
لا صدرَ لهم
لمزيدٍ من أوسمةِ الفخرِ
سمٌ عابرٌ
للقاراتِ
لهُ لونُ الفسفورِ
الأبيضِ
أسهمُ أهوالٍ ناريّه
إذْ تلهو آلهةُ الحربِ
بفضاءِ سما غزّاويّه
مكرٌ من ثعلبِ صحرائكْ
فضلٌ من فضْلةِ إرهابكْ
قدرٌ عاصفٌ
لا تدري في يومِ الحشرِ
من أيِّ جهاتِكَ يأتيكَ
من دَفقِ الفولاذِ المصهورِ
من كأسِ جنونِكَ يسقيكَ
من لعنةِ دمْ.




التحديات وقلق الهوية

بقلم:
أحمد أنيس الحسون

هل صحيح أن الجبهة الثقافية هي صمام الأمان في معركة الوجود العربية بعد الإخفاقات العديدة سياسياً واقتصادياً، وفوق ذلك عسكريا الذي كرّس بدوره كلّ أشكال الإخفاق؟

يقول محمد عابد الجابري: "الهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم"، ويضيف: "الهوية العربية هوية مكتملة ثابتة ولكن التجارب والتحديات تجعل من الضروري بين حين وآخر إعادة ترتيب عنصر الهوية" .

إذاً، الثقافة هي مستودع العقل العربي ووجوده، وهي مكون الأمة، وتأتي الهوية كتجسيد لتلك الثقافة ومن ثَمَ هي أمل الخروج من المأزق الذي يطحنها تحت هيمنة النظام العولمي الجديد، فالثقافة أولاً وأخيراً أمام تحديات العصر وتلك هي المشكلة التي نواجهها، فهناك مأزق حقيقي يعترض المثقف العربي، كثيراً ما نراه صناجة سلطة أو بين مطرقتها وسندان الهامش، مما يجعل عينيه ترى أو يجب أن ترى الحديدَ الصدئ ذهباً يلمع، وبالتالي التهميش المحتك.

تلك مرحلة حرجة استوجبت التبعية العمياء واللهاث وراء سياسات خاطئة. لقد غدت الثقافة العربية منقادة من حيث تدري ولا تدري، وذلك بعدما بدأت تتغذى من شبكة الاتصالات العالمية، ويأتي مشروع الثقافة العربية والإسلامية لأصعب من أي زمن مضى بعد ثورة الاتصالات والغزو الأوروبي على كل المقاييس لأسطحة بيوتنا وأزقتنا، وأيّ محاولة لرفضها ستبوء بالفشل لأن العولمة إن لم تدخل

من الباب ستدخل من الشباك، بل حطمت الجدران وأبقتنا في العراء، والهروب هو سلوك نعامي (كالنعامة تدفن رأسها في التراب). لذلك لا بدَّ من المواجهة الثقافية بحذق وسعة إطلاع وإدراك جوانبها كافة لإمكانية التعامل معها بما يحافظ على الهوية الثقافية والحضارية وتأطيرها في زمن احتضارها، ذلك أنَّ أسس الأنظمة العربية وثقافتها تتعرض لهجمة مرعبة ضمن تغيّرات إقليمية عربية رسختها مفاهيم صهيونية وأمريكية، سواء بقوة السلاح أو الإعلام، وهذا النظام العالمي الجديد يعتمد على دبلوماسيات مفبركة لتحويل العالم إلى سوق موحدة اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، يسيطر فيها القاهر على المقهور الضعيف بسياسة التبعية بالقوة أو بالإذعان أو الإغراء بمنافع مختلفة. إنّ هذه الممارسات أشاعت مفاهيم مغلوطة من خلال التغطية والتعمية على العرب والمسلمين بممارسة الاتصالات والمعلوماتية كممارسات أمريكا الإرهابية ثقافياً وسياسياً بحق التدخل السافر باستخدام العنف والطغيان مصحوباً بشبكة إعلامية تمشي موازيةً لأطروحات ومبررات واهية تطرحها على الساحة العربية والعالمية ضمن التماهي الجائر مع الشرعية الدولية الممثلة بالأمم المتحدة . هذا الغزو الثقافي الإعلامي يعطّل ويشوّش الذاكرة العربية تحت لبوس أكثر فعالية لضرب الهدف، وأتت تقانة المعلومات لتخلخل الثقافة و((تتكنج)) الأدب والفن، وتعتبر ثقافة "المالتيميديا" أي المادة مقروءة ومصحوبة مع الصورة، كمعضلة إعلامية تتحدى الثوابت الثقافية العربية، فهذا النشر الإعلامي الإلكتروني الذي يتم بتقانات المالتيميديا يضعنا أمام مأزق عبر ما تفعله هذه الثقافة من تسطيح للمعرفة وتنميط للشخصية وإلغاء دورها بما تشيعه من تضليل وتزييف للحقائق أمام مجانية الفكر، فغدت المعرفة عشوائية غير منضبطة بعد غياب أجهزة الثقافة وذوبانها أمام هذا الأخطبوط الإعلامي. إنّ النشاط الإعلامي يحاصر ثقافتنا الأصلية والحيّة، ويعمل على قولبة الوعي تماشياً مع توجهات وتوجيهات السلطة المالكة لوسائل الإعلام، ويتم ما يسمى بتزييف الوعي. فمن الملاحظ أن الثقافة قضية خطيرة أمام ضعف المسلمين والعرب وتشتتهم صناعياً وسياسياً وثقافياً تحت وطأة الإعلام المضلل عن تاريخهم وتشويه صورتهم مما يثير مشكلة "قلق الهوية" مع تعدّد مشكلات مقومات وعي الذات من الاستعمار إلى التبعية إلى العولمة، وتلك مخاوف تقضّ مضجع الباحثين حيث بلغ قلق الهوية مبلغاً كبيراً، فالتفكير العربي في مأزق بنية الهوية ويمتد للتنمية الثقافية كنتيجة حتمية لهذا المأزق. من خلال كل ما تقدم ما هو دور المثقف ؟. لعلّهُ قد اختلطت الأدوار فمن مهمَّش دورَه إلى مساعد على المساهمة السلبية والتهرب من المسؤولية بالترويج للعيوب فيصدق عليه قول: "المثقف التقني التكنولوجي" الذي ينادي بترَهات هشة أو يمارس جلداً للذات، وتلك من أسوأ المآزق

الثقافية في عالمنا العربي الإسلامي. لقد استهان الإعلام الثقافي بالعولمة التي شقت طريقها إلى العالم بيسر وسهولة، فكان فهمها بدقة قليلاً جداً أو معدوماً، وانصبَّ أغلب الإعلام الثقافي لزخِّ المصطلحات هنا وهناك عبر مجانية التسمية، وبسبب الفشل الثقافي الذي نعانيه نرمي التهم على العولمة فقط وهذا ما نستطيع فعله، فنصحب الطبل والمزمار ونطبّل ونزمّر دون محاولة الفهم الدقيق لما يجري. من المؤسف أن معظم الإعلام العربي لم يناقش مسائل راهنة كي لا يلزم نفسه بتقديم أجوبة؛ بل يتّبع سياسة الإعلام المتملق الذي يساهم في صنع ثقافة التسطيح والترويج للفساد الفكري، والميل بالثقافة عن جادة الصواب، وإحاطة المجتمع بسلال من أكاذيب اهترأت وأصابها العفن، وحيال ذلك يقتنع الكثير من المثقفين بالدور الصامت أمام خيبات الأمل، ومع تضارب الأحداث فإننا سندخل حفلة تنكرية ينتصر فيها الغوغاء على الرغم من أن الحقائق ثابتة ولكنها تحتاج لمن يبث فيها ناراً تلهب أوارها في وجه أبطال الحفل التنكري والمصفقين لهم. لذلك إن مسألة إيصال التنوير للناس أمام هذا الحطام مسألة على قدر كبير من الأهمية تستوجب البحث واللجوء إلى مثقف يرمّم الثغرات، ويساعد على فهم العلاقة بين السياسة والثقافة والدين وخاصةً بعد تواجد ظاهرة الإرهاب المصحوب بفكر ضالٍ عاجزٍ عن استيعاب الواقع ضمن هذا التقوقع السكوني في قمقمه بزمانه ومكانه الجامدين، وهذا ما أشاع مفاهيم عشوائية مغلوطة عن الحضارة الإسلامية بمفهومها العادل وهويتها الثقافية العربية التي كانت وما زالت مركزاً يستقطب كلّ الحضارات والأديان، ومن هنا يأتي الخيار العادل لاستئصال هذا الفكر الضال، ودمل حفرة الضعف في التركيبة الثقافية للمجتمع.

ومن خلال هذا الصخب المتفرع ينظر المثقف العربي نظرة قلق حيال ما يجري، ذلك أن المعركة الثقافية على أشدها بين المضللين والمنوّرين، ولا بد إزاء هذا التضليل الإعلامي من دور ثقافي عربي إسلامي حرٍّ يعاين مواطن الخلل ويساعد في صنع القرار السياسي والثقافي، وينهى بنفسه عن المبتذل والمكرور، فيرصد تحركات كوكبة العالم رصداً موضوعياً، ويقدم الإطار الحقيقي لما يجري على أرض الواقع متمتعاً بعين ثاقبة تنم عن مثقف عاين وعاصر وحلّل أحداثاً جسامَ حرضته وبدافع من الصدق والإخلاص لهويتيه العربية والثقافية والإسلامية لأن يقف موقفاً ثقافياً أمام التحديات التي تواجه الشعوب الإسلامية العربية في قرن زُيّفت فيه القيم وانقلبت المعايير، فيأتي دأب الخطى الجادة للاستمرار في تأدية الدور الحقيقي والريادي للأمة لأن الخير كامن في مقوماتها التاريخية ومستودعها الحضاري الشامل، وهذا الدور الإيجابي دفع عجلة المركبة إلى الأمام ورفض الانكباب على الألم وممارسة جلد الذات.

قصة

إكرامية..

القصة حائزة على المركز الثاني في مسابقة اتحاد الكتاب العرب باللاذقية لعام ٢٠٠٩

بقلم: وسام دبليز

حين رأيته بجانبي قبل نزولي بلحظات اقتحمتني الدهشة، ما الذي أتى به إلى هنا وكيف لم أنتبه لوجوده وهو بهذه الفخامة، بالتأكيد أنا بحاجة لراتب عدة أشهر كي أحصل على جهاز كهذا.

لا بدَّ أنَّه سقط من أحد الركاب، وكنشال ماهر وضعته في حقيبتي فلن أعطيه لسائق التاكسي أبداً، وما هي إلا هنيهات قصيرة بعد نزولي حتى اتصل صاحبه من رَقم خاص، دُهش عند سماع صوت أنثوي وابتسمت بخبث عند سماع صوته الذي يشي بالتهذيب.

خمس دقائق وسيكون أمامي، وفي هذه الفترة الزمنية القصيرة راحت غيومُ الأحلام تمطر أمنيات فوق رأسي، هل سيتحقق ما قالته ماغي فرح اليوم: (حب جديد يطرق باب قلبك).

وفيما كنت أطمئن إلى مظهري الأنيق وقفت سيارة فخمة سوداء اللون بزجاج أسود تقودها فتاة حسناء، نظرت إليّ بطرف عينيها وبنصف ابتسامةٍ رمقتني من رأسي لتستقرّ عند حذائي.

كدتُ أهمس وأنا على رصيف الخيبة تبا لحظّي، ومن الجهة الأخرى نزلَ شابٌ طويل القامة، عريض المنكبين، بمعطف أسود. وحين رفعَ نظارته عن وجهه واصطدمتْ عينيّ بعينيه الزرقاوين شهقت روحي شهقة الذعر على عتبة الذهول، وقفتِ أمامه.. هو عمرٌ من الصّمت مضى فقدتُ فيه أبجديتي..

وقفتْ سفينتي المرمّمة لحظتئذ على شاطئ بحر عينيه الزرقاوين، وأبحرت بيمّهما لتقذفها أمواجُ بحره الثائرة على جزرٍ مهجورة.

إشارات الاستفهام جنت في وجهي والذاكرة فتحت كطفل شقيٍّ ألبومَ حبّها المغلق.

وإذا بي أمام حبيب عشت معه عمراً كاملا من الحبّ، حبيب زرعت معه على كل مفرق زهرة، وفي كل أرض غرسة، وتحت كل شجرة ذكرى، ومع أمواج البحر أرسلنا أحلامنا..

كذبت حين قلت إنك ستضع صورتي على كلِ جدارٍ كي ترى وجهي القمحي اللون كيفما جلت

بناظريك، وها أنت تنتزع صورتي حتّى عن جدار قلبك وتبني لك قصراً من دوني، قصراً من ذهبها ومالها ومن كرامتك ربّما.

وحين داعبت نسمات الشتاء الباردة شعري ليقبّل وجهي الساخن، نظرت إليه وكأنك تذكرت شيئا من الماضي.

كدت أسألك وشعري يحنُّ لمداعبة أناملك فيتدفق عطراً وورداً:

- إلى ماذا تنظر؟!

مشط أصابعك كسر منذ عمر مضى، حين بدأت تسدل ستار اللامبالاة وتحفر طريق الفراق بيننا وتضعَ أسباباً للهروب لطالما كنت أعظم وأكبر منها.

منذ ذلك العمر وأنا أشتمك، لم أستطع الغفران لزيفك بعد حب سنوات مضت.

كيف صدقت عينيك الجميلتيّن ورأيت في بُحيرتهما أشجار السعادة مرتسمة على أطراف قزحيةَ العين.. وجهكَ الموشى بالطيبة.. يدكَ الدافئة..؟!

مازلت أذكر ذلك اليوم.. يوم وفاتك.. حين كانت يدك في يدها إلى قفصكما الذهبي، في حين كنت قد وصلت في قلبي إلى موتك، وحزناً عليك رحتُ كالغبيّة أقطع أوردتي فلا وجود لحياة أنت لستَ فيها.

وفيما كنتَ ترقص معها فوق منصّة الفرح، كنت أرقص رقصة الموت، وحين كنت تنتزع عن جسدها الغضّ ثوب سعادتها الأبيضِ كانوا قد نزعوا عني آخر خيوط الأمل بعد أن نزفت حتى الموت.

كيف عدتُ للحياة ولماذا؟! هي معجزة، هكذا قال الأطباء.

لكنّي في قرارة نفسي زعمت أنني أعلم السَبب، فأنا تخلصت من ذلك الدم الأسود الذي لا يحوي سواك، وها قد خرجت من دمي إلى محرقَة جسدي.

لكنّي اليوم وأنا أتناثر شوقاً أمام عينيك الباردتين، لم أدرك إن كان الذي أمامي هو أنت أم أنه طيفك فأنا لم أتعرّف إلى صوتك الذي لبس زيّ المجتمع المخملي، صوتك الذي كان قهوتي الصباحية، وزاد يومي الجميل. كدت للحظةَ أرسل أصابعي المرتجفة لتبحث عن نبضٍ حبيب في هذا الجسد الذي وضعته تحت الترابَ منذ عهد مضى..

ألسنا نختلجُ ونصابُ بالذُعر دوماً عند رؤية الأموات!

أنا من شيّعتك ووقفت عند حافة قبرك، بعد أن وضعت صورتك السوداء على جدار منسيّ من جدران روحي، أي معجزة تلك التي أعادتك إلى عالمي..!

مددت رماد يدي وأنا أسحب شهيقاً عميقاً دون أن يصل الهواء إلى رئتي كي أبحث عن روحي الشاردة على أرصفة الوداع، وما أن وصلت إلى مفرق التلاقي حتى عانقتها يدك البيضاء، ورمتها في سرير اللهفة، فأورقت اشتياقاً للحظة، وانتفضتْ أوردتي بذعر، بغضب، وكادت تسألك عن يد تلك الشقراء التي استلقت في أحضان كفك.

مددت الجهاز إليك وأنا أحاول استعادة انتظام تنفسي دون أن أنطق بأي حرف، وأخذته دون أية كلمة. وهناك عميقاً عميقاً انسابت دمعة.. أخذت تشق طريقها في أعماقي لتصل إلى روحي، كنت أدرك أنك لن ترى دموع قلبي، أنت الذي لم ترَ دموع عيني المتهاوية على دروب لقاءاتنا الخضراء، عندما تركتني أتخبط في بحر مياهك المالحة وما خرجت إلا بجسد منهك وقلب محطم، لكني اليوم رفضت أن ترى احتضار روحي من جديد، فأدرت ظهري لك كي لا ترى حبي المتوقد في بؤبؤ عيني وأنا أضغط على جرحي الغافي الذي عاود النزف.

كنت أُسرُّ في باطني بركاناً من الوجع والغضب، انفجر في غرفتي على شكل نوبات جنونية، تراوحت بين البكاء والضحك كلما رنّ صوت تلك الشقراء في أذنيّ كالجرس:

"الإكرامية.. هيا اعطها إكراميتها.. اذهب وراءها..".




خمرة الأحزان

شعر: نظير جابر

ليلـــي وخمــرةُ أحزانـــي وأتراحـــي
ســاقتْ إلـــيَّ عـــذاباتي وأشـــباحي
إنْ كـــان للمـــرءِ روحٌ واحـــدٌ تَعِـــبٌ
فلـي علـى مَسْرحِ الأحـداث أرواحـي
أكلـــتُ مـــن ثمـــراتِ الشِّـــعْرِ أطيَبهـــا
والنّـاسُ تأكـل مـن خـوخي وتفّـاحي
حمـــائمُ الـــدَّوحِ أولـــتني رعايتهـــا
وكـــم أحـــنُّ لأفيـــائي وأدواحـــي
كيـــف النجـــاةُ وأثـــوابي ممزَّقـــةٌ؟
والخلْـــقُ مـــا بـــين سـيَّافٍ ورمَّـــاحِ
شـــنَّفتُ أُذنـــي بأنغـــامٍ مفوَّفَـــةٍ
وطـرتُ أغـرف مــن ينبــوع صـدّاحِ
جلــتُ الفيــافي وأحلامــي تُــؤرِّقني
ولم أزلْ أتشـــهَّى رَكْـــبَ مـــلاَّحِ
غنَـتْ علـى راسـياتِ المـوج أشـرعتي
فهـــل أعـــودُ لتحنـــاني وأفراحـــي؟
وهَـــلْ ألملـــمَ أشـــتاتي وأغســـلُها؟
وهـل يضـيء دروبـي نـورُ مصباحي؟
كســـرتُ في لجَّـــةِ الأنـــواء ســـارِيَتي
وعـدتُ أسـرحُ بـين النّـائم الصَّـاحي







تاهــت نـــواطيرُ بســـتاني وحـــالفني
طيـفٌ مـن الألمِ المخـزونِ في سـاحي
إنْ رفرفـتْ فـوقَ أبراجـي رؤى أمـلٍ
تزيَّنَـــتْ في حنايـا الـنّفس أقـداحي
أهفـــو إلى الزهــرِ أســتحلي مفاتنــهُ
وللأزاهـــير قـــد ضـيَّعْتُ مفتـــاحي
كـــبيرةٌ تلـــك آثـــامي وأعنفهـــا
مـا كـان يـركض حـراً فـوق ألـواحي
أدورُ حـولي فـلا ألقـى سـوى نَفَـقٍ
يحـــوي ضـــفائرَ مختـــالٍ وســـفَّاحِ
أصـــبو إلى لحظـــةٍ براقـــةٍ ألقـــاً
مـن رمـشِ عـينِ رهيـفِ الغُـنجِ لمَّـاحِ
أمحـــو وأكتـــب أشـــعاري وأعزفهـــا
مَـنْ قـال للعـزف: إنّـي كاتـبٌ مـاحِ؟
بـيني وبـين شـعوري خنـدقٌ شَـرِسٌ
لا تسـمع الأذنُ إلاّ اللائـم اللاحـــي
أطـوفُ في فَلَـكِ الأبـراج ممتطيـاً
ظهـر النجـوم وحـولي ألـف سـبَّاحِ
تراكضـتْ في سـهوب البيـدِ أحصـنتي
وحمحمـــتْ بـــين ســبّاق ومجنـــاحِ
لا أدَّعـي الفخـرَ إنْ لاحـتْ بوارقـه
ولا أبـــالي فـــإنّي بعـــض فـــلاّحِ
أشـــكو وشـــكوايَ تغـــويني محافلـــه
فهــل تفــرّدَ إصــغائي وإلحـــاحي؟







قضيتُ عمراً أرى سِفْرَ الخلودِ شذى
أجولُ ما بين إمسائي وإصباحي
غداً سَيقرأُني جيلٌ أمدُّ لَهُ
حبلَ المودَّة مِنْ ألحانِ إفصاحي
أنّى اتَّجهتُ أرَ الأضواء خافتةً
والكونُ يعوِلُ من أنيابِ بطّاحِ
دوري دواليبَ حظّي! لن يكون بها
إلاّ لفائفُ من سكّينِ جرّاحِ
جحافلٌ من صباباتي أمزِّقها
ما كان أحوجني فيها إلى الرّاحِ
إذا تململَ شِعري في مخابئهِ
أرى ستائر طمّاعٍ وطمّاحِ
سِحْرُ البنفسجِ يغريني ويتحفني
بكُلِّ غصن خفيف الظِّلِّ فوّاحِ
من بَوحِ ساقيةٍ تصفو جداولها
عطرتُ قافيَتي من مِسكِ بوّاحِ
فكم مسحتُ جراحاتي وأخيلتي
يا من يضمّخني من وجد مسّاحِ!
أسوحُ فجراً على أبوابِ مملكتي
كم كنتُ أرنو لجوّابٍ وسيّاحِ
غرقتُ في لجَّةِ الإعصارِ يحملُني
لآخرِ الأرضِ أوهامي ونزّاحي
من لي ببارقةٍ تجلو مدى سفني
وترتوي من كراماتي وإصلاحي؟







تشـــفُ عـــن غُـــرَّةٍ تهتـــزَّ في أُفقـــي
وعـــن جـــبينٍ شـــفيفِ الهمـــس وضَّـــاحِ
أمشـــي ويصـــحبني في رحلـــتي نفـــرٌ
هـــمْ يعرفـــون صـــدى ذمِّـــي ومـــدَّاحي
أبيـــتُ بـــين كـــوابيسٍ ونـــازلتي
وألمـــحُ الـــبرقَ مـــن تـــنِّين جحجـــاحِ
أهكـــذا أنـــتِ يـــا دنيـــا مضـــرّجةٌ؟!
بوابـــلٍ مـــن عُـــدا أمطـــارِ بـــرَّاحِ
ألم تقـــولي: بـــأن العـــيش في دَعَـــةٍ
مســـبوكةٍ مـــن نـــدى أنفـــاسِ ممـــراحِ
ذوبـــي حيـــاءً، ألم تـــرتجَّ عاصـــفةً
في كـــلِّ بيـــتٍ ســـليب الخبـــزِ فضّـــاحِ؟
أهفـــو علـــى الـــوردة الخجلـــى وألثمهـــا
وأعصـــر البـــذْلَ مـــن أطـــرافِ كـــدَّاحِ
ألملـــمُ الحسْـــرةَ الـــولهى وأُشْـــعِلها
مـــن ذا يلـــوم لظـــى مُـــورٍ وقـــدَّاحِ؟
مـــن صـــاغ آدمَ مـــن طـــينٍ ومـــن علـــقٍ
قـــد صـــاغ حـــواء مـــن نـــارٍ وأرواح(١)
إنْ يكمـــنِ الشَّـــرُّ في مكنـــون جعبتهـــا
فالشَّـــرُّ لا بـــد منـــه عنـــد ملتـــاح(٢)
خـــبرتُ ســـرباً مـــن الغيـــدِ المـــلاحِ وقـــد
شـــربت مـــرَّ الهـــوى مـــن كـــأس شُـــرَّاحي

(١) الأرواح: الزئبق عند الحكماء الأقدمين.
(٢) الملتاح: الداهية.




الأديب عيسى فتوح في سيرته وآثاره الأدبية

بقلم: يوسف عبد الأحد

عيسى فتوح أديب وباحث وناقد ومترجم وصحفي ومرب.

ولد في بلدة (مشتى الحلو) بمنطقة صافيتا – محافظة طرطوس في ٣/ ٦/ ١٩٣٥.

تلقى دراسته الابتدائية والإعدادية في الكفرون ومشتى الحلو حتى عام ١٩٥٤.

انتقل عام ١٩٥٥ إلى دمشق وتابع دراسته في ثانوية (الآسية) الخاصة.

انتسب إلى قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق عام ١٩٥٧ ونال الليسانس عام ١٩٦٠ والدبلوم العامة في التربية عام ١٩٦١ وفي الجامعة كوّن مع بعض زملائه وزميلاته رابطة أدبية وأصدروا صفحة أسبوعية في جريدة (الجمهور) لصاحبها بشير كعدان بعنوان (صدى الجامعة).

بعد تخرجه من الجامعة عمل مدرساً للغة العربية وآدابها في مدارس محافظات إدلب وطرطوس واللاذقية إلى أن استقر نهائياً في دمشق عام ١٩٦٩.

عمل محرراً في مجلتي (الجندي) سنة ١٩٦٤ و(المعلم العربي) سنة ١٩٧٣ ورئيساً لتحرير مجلة (صوت المعلمين) سنة ١٩٨٢ ثم أميناً لتحرير مجلة (بناة الأجيال) حتى عام ١٩٩٦.

انتسب إلى اتحاد الكتاب العرب سنة ١٩٧٠ (جمعية النقد الأدبي) وعمل أمين سرها حتى تقاعد من الاتحاد عام ١٩٩٥.

نشر العديد من مقالاته ودراساته في الأدب والنقد والاجتماع في صحف ومجلات سورية والبلاد العربية، وراسل أعلام الأدب المهجري أمثال جورج صيدح، وميشال مغربي،

ونبيه سلامة، وزكي قنصل، وإلياس قنصل، ويوسف الصارمي، وعبد اللطيف اليونس، ونشر عدداً من الدراسات عن الأدب المهجري في مجلات الأديب والثقافة والضاد والمعرفة.

راسل مجلة (دنيا المرأة) اللبنانية بين عام ١٩٦٠ - ١٩٦٦ وأجرى عدة حوارات مع الأديبات السوريات نشرت في المجلة نفسها.

بدأ اهتمامه بالأديبات العربيات المعاصرات ودراسة أعمالهن الأدبية وسيرهن منذ عام ١٩٦٢، ويعدّ أحد الأدباء القلائل الذين اهتموا بهذا المجال.

أصدر أربعة مجلدات بعنوان (أديبات عربيات)، صدر المجلد الأول عن الندوة الثقافية بدمشق عام ١٩٩٤ تقديم الأديبة كوليت الخوري، وضمَ بين دفتيه ثلاثاً وثلاثين سيرة ودراسة عن أديبات من سورية والأقطار العربية.

وصدر المجلد الثاني عن دار طلاس بدمشق عام ٢٠٠٢ وتقديم سيادة العماد أول مصطفى طلاس، ضمّ ثلاثاً وثلاثين سيرة ودراسة عن أديبات من سورية والأقطار العربية.

وصدر المجلد الثالث عن دار كيوان بدمشق عام ٢٠٠٣ تقديم الأديبة الكبيرة الراحلة سلمى الحفار الكزبري، وضمّ ثماني وثلاثين سيرة ودراسة عن أديبات من سورية والأقطار العربية.

وصدر المجلد الرابع عن دار كيوان بدمشق عام ٢٠٠٨ وضمّ أربعين سيرة ودراسة عن أديبات من سورية والأقطار العربية.

وبذلك يصل عدد الأديبات والشاعرات اللواتي كتب عنهن في المجلدات الأربعة إلى مئة وأربع وأربعين أديبة وشاعرة من مختلف الأقطار العربية.

كذلك صبّ اهتمامه على أعلام الأدب والشعر في الوطن العربي وأصدر في هذا المجال سبعة كتب هي:

الكتاب الأول: شموع في الضباب من أعلام الأدب في سورية والمهجر، صدر عن دار المنارة بدمشق عام ١٩٩٢ ودرس فيه عشرين أديباً وكاتباً سورياً.

الكتاب الثاني: من أعلام الأدب العربي الحديث صدر عن دار الفاضل بدمشق عام ١٩٩٤ وتقديم الأديب الدكتور خليل الموسى أستاذ الأدب الحديث في جامعة دمشق ودرس فيه خمسة وثلاثين أديباً سورياً وعربياً.

الكتاب الثالث: وجوه مضيئة في الأدب العربي الحديث صدر عن دار كيوان بدمشق عام ٢٠٠٣ ودرس فيه ثمانية وأربعين أديباً سورياً وعربياً.

الكتاب الرابع: دراسات في تاريخ الأدب العربي الحديث صدر عن دار كيوان بدمشق عام ٢٠٠٣ ودرس فيه تسعة أدباء.

الكتاب الخامس: أدباء في الذاكرة صدر عن دار كيوان بدمشق عام ٢٠٠٤ درس فيه واحداً وخمسين أديباً سورياً وعربياً.

الكتاب السادس: شخصيات أدبية صدر عن دار كيوان بدمشق عام ٢٠٠٥ وتقديم الأستاذ شحادة الخوري (عضو مجمع اللغة العربية بدمشق) درس فيه ثلاثة وأربعين أديباً سورياً وعربياً.

الكتاب السابع: أدباء معاصرون صدر عن دار كيوان بدمشق عام ٢٠٠٦ ودرس فيه اثنين وثلاثين أديباً سورياً وعربياً.

وبذلك يصل مجموع الأعلام الذين درسهم في هذه الكتب السبعة إلى مئتين وثمانية وثلاثين من الأدباء المعاصرين.

وبلغ المجموع العام للأديبات والأدباء ثلاث مئة واثنين وثمانين أديباً وأديبة.

ويعكف الآن على تأليف الكتاب الثامن من أعلام الأدب في القرنين التاسع عشر والعشرين والجزء الخامس من (أديبات عربيات).

شارك في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في دمشق سنة ١٩٧٩، ومؤتمر أدب الأطفال الذي عقد في بلغاريا عام ١٩٨٠.

نال ميدالية الشاعر البلغاري نيكولاي فابتزاروف الذهبية من بلغاريا، وميدالية الصداقة بين الشعوب الفضية من ألمانيا، وشهادتي تقدير من المكتب التنفيذي لنقابة المعلمين، وشهادة تقدير من وزارة الثقافة.

كما نال شهادة تقدير ودرع الاتحاد من اتحاد الكتاب العرب بدمشق في ١١ شباط عام ٢٠٠٧ ودرع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين في الكويت عام ٢٠٠٩، وهو عضو هيئة تحرير مجلة (الضاد) بحلب وعضو هيئة المستشارين في مجلة (الثقافة) بدمشق.

زار بلغاريا وإسبانيا وهولندا وبلجيكا وألمانيا ولبنان والأردن وكتب عدّة مقالات عن جولته في ربوع الأندلس.

لقد أغنت مؤلفاته القيمة التي خصصها للأديبات والأدباء المكتبة العربية وسدّت فراغاً فيها، وجاءت دليلاً على فكره النيّر واهتمامه الشديد بنهضة المجتمع العربي في الثقافة والأدب والفكر.

أعماله المطبوعة:

أ - في أدب الأطفال:

أضدر أحد عشر كتاباً مترجماً عن الإنكليزية بين عامي ١٩٧٥ - ٢٠٠٩

ب- في الدراسات والنقد:

١- أديب إسحق باعث النهضة القومية - دمشق وبيروت ١٩٧٦.

٢- دراسات في الأدب والنقد - اتحاد الكتاب العرب ١٩٩١.

٣- الصالونات النسائية الأدبية في العصر الحديث - دار المنارة - دمشق ٢٠٠٢.

٤- دراسات في تاريخ الأدب الحديث - دار كيوان دمشق ٢٠٠٣.

٥- محاضرات في تاريخ الأدب العربي الحديث - دار كيوان ٢٠٠٦.

٦- مختارات من الشعر العالمي (ترجمة) دار كيوان ٢٠٠٧.

٧- حصاد السنين (مقالات في الأدب والنقد والتربية والاجتماع) - دار كيوان ٢٠٠٧.

٨- بوح الذكريات (مقطوعات وجدانية) دار كيوان ٢٠٠٧.

٩- ساعات بين الكتب (دراسات أدبية ونقدية) دار كيوان ٢٠١٠.





تُعتّق الخمر..

شعر: عباس حيروقة

أنــتِ الهيــولى ومــن نــورٍ تشــكُلُها
أنـتِ الحقيقـةُ.. أنـتِ المـاءُ مـذ غـدقا
أنــتِ الوجــودُ قُبيــل الانشــطارِ كمــا
منــكِ المكــارمُ شــوقاً تشــتهي العبِقــا
أنــــتِ الْ تُعَتَّــقُ في أكوابهـــا لغــتي
شـــعراً حصـــيناً.. كنـــورِ الله منبثقـــا
تعتّـــقَ الخمـــرُ في كفيـــكِ فاحترقـــا
شـعراً شـفيفاً يضـاهي بالشـذى الحبقـا
تعتّـق الخمـرُ فاسـتجدى الشفاهَ جـوىً
أن تلثميـــه.. ففـــارَ الفجـــرُ وائتلقـــا
تعتَّـــقَ الخمـــرُ لا كـــرمٌ ولا عنـــبٌ
فاهــدي إلــيَّ كــرومَ الريــفِ والأفقــا
هي العواصفُ إن شاءت.. وإن سكنت
تضـــيءُ فيَّ بهـــيمَ الليـــلِ والشـــفقا
ســـألتُها المـــاءَ قالـــت: قـــد تمـــازجُني
صـرفُ الشـرابِ يجيـزُ العـومَ والغرقـا
فـاغرقْ ببحـري فهـذا النـوُّ مـن شبقي
كـــلُّ الشـــواطئِ فاضـــت مثلَنـــا شـــبقا








تعتَــقَ الــدنُّ فــانطقْ بالوصــالِ كمــا
حــالُ الشهودِ بعيـدَ الكشـفِ.. مـا نطقا
تعتَّــقَ الــدنُّ.. وانظـر حــالتي معــه
رتِّــلْ صــلاتك تهجــر مقلـتي الأرقــا
مــن للمســاءِ غــداةَ الــبينِ يقرؤنــي
مـن للفـؤادِ إذا مـا غبـتَ.. إن خفقـا
مــا إن أشــدُّ تُجــاه الــراحِ قــافيتي
كـلَّ البحـورِ.. شغافُ القلـبِ قـد سبقا
وقفــتُ معتنقــاً في بابهــا صــوري
مَــنْ للجـواهرِ.. مَــنْ أسمائِهـا اعتنقـا
إنــي أقطِّــرُ مــن أشــواقكم عرقــي
أرضُ الجنــانِ تهــادى نهرُهــا عرقــا
هــي الجنــانُ تجــنُّ مــن تأنّقهــا
وكــلُّ طيـبٍ لنـا.. مـن وحيهـا خلقـا
ألم يعــدنا بــأكوابٍ وفاكهــةٍ
بحــور عــينٍ وبالأطيــاب قــد صـدقا
لأنــكِ الجنــةُ الفــردوسُ.. كوثرُهــا
فعــالمُ الأمــسِ هــا أحرقتــه ورقــا
هــذي النهــودُ حباهــا اللهُ معجــزة
عنــدَ الوصــالِ تــنيرُ الــروحَ والألقـا
إنــي رزقــتُ بهــذا الــدنِّ مــن ولهـي
إنــي رزقــتُ فحيّــا الله.. مــن رزقـا




المتنبي ورحلة مع الذات

بقلم:
محمود محمد أسد

إنَّ العمالقة في تاريخ أدبنا العربي معدودون. ويقف في مقدمتهم المتنبي شامخا رأسه يُشارُ إليه بالبنان. أيا ترى ما السرّ وراء هذه العبقرية؟ وما مكوّناتُها العامة والخاصة؟.

كلُ ما تُعْرف عن المتنبي تلك الولادةُ البائسةُ في أسرةٍ فقيرة، نبت فيها، وترعرع حول الفقر دون أن ينقطع رجاءُ الأمل والطموح، فإذا به يحملُ على كتفه هموم الواقع المرِّ ويأمَلُ بالهدف المنشود. يحدوه الأمل وتحيط به إرادةٌ وعزيمة صُلْبة..

إنَّ سرَّ مكانة المتنبي يكمن في تلك الروح الوثابة والنفس الأبية التي رضعت العظمة وحبَّ المجد، وسَعَتْ إلى الرفعة ،فوجدت ضالّتها في شخص سيف الدولة الحمداني حامي حصون العرب ودافع كيد الروم. فالدخول إلى عالم المتنبي بحرٌ متلاطمُ الأمواج عميق الأغوار.

لا نستطيع الغورَ به إلا بمعرفة أسرار شعره والتعمّقِ في معانيه وفهم المراد منه. فأشعاره ترسم صورةً عن شخصيته وتبرز حكمته وموقفه من الحياة والناس. فالشعر مرآةٌ لصاحبه ومرآةٌ للعصر.

وشعر المتنبي يرسم أبعادَ شخصيته وهذا ما يهمُّنا ونسعى إليه. لا تُخفى الحقيقةُ عن أحد بأن شخصية المتنبي كإنسان وسلوك وحكمته متلاحمتان دون انفصام. فنادراً ما نجد بيتا من حكمه دون أن يدلَّ على سلوكه الشخصي ومبدئه في الحياة. لقد رسم المتنبي أبعاد شخصيته من خلال معايشته وخبرته للحياة وللناس. فإذا به يستنبط نظرات ومواقف خاصة في حياته. أليس هو القائلُ وبمن تطبّع على الأذى والكره:

ومـــن يــكُ ذا فـــم مُـــرٍّ مـــريضٍ
يجـــدْ مـــراً بـــهِ المـــاءَ الـــزلالا

وهو القائل عن مصائب الدنيا وتقلباتهـا المفاجئة على الإنسان:

ومـــن صَـــحِبَ الـــدنيا طـــويلاً تقلَّبـــتْ
علـــى عينـــه حتـــى يـــرى صـــدقَها كـــذبا

إنها نظرة الحكيم والمجرِّب. خبرَ الحياةَ، وكشف سرَّها وهي التي قلبَتْ سعادته في بلاط سيف الدولة إلى شقاء بعد أن تـرك بلاطــه، وخرج حزيناً دون أن يفقد كرامته وهذا أغلـى ما يملكه المتنبي ويدافع عنه:

إذا كنـــت ترضـــى أن تعـــيش بذلَّـــة
فـــلا تَسْـــعِدَنَّ الحســـامَ اليمانيـــا

لله ما أحكم هذا الإنســان! حيــثُ لســانُهُ يرتبط بعقله، وترتبط حواسُهُ بالرؤية الصادقة للحياة التي لا تلين إلاَّ لقــوي، ولا تخضــع إلاَّ لشجاعٍ مؤمن بهدفهِ:

ومـــن طلـــبَ الفـــتح الجليـــلَ فإنّمـــا
مفاتيحُـــهُ البـــيض الخفـــافُ الصـــوارم

هذه نظرةُ المتنبي للحياة وطريقه للمجـد المرسوم أمام عينيه. لا يفارقه لحظةً، وهذا ما ترك خصومه يقلقونه ويتَتَبَّعونَهُ في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ وهو لا ينظر إليهم ولا يكتـرثُ بهـم. فكانت علاقته مــعَ النــاسِ محاطــةً بالحـذر والجدِّيَّة. ولا يعرف سوى طريق واحد للمجـد طريقِ البطولةِ والرجولةِ وليس عـن طريـق اللهو والمجون:

ولا تحســـبَنَّ المجـــدَ زقـــاً وقينـــةً
فمـــا المجـــد إلّـــا الســـيف والفتكـــة البكـــرْ

وهو القائل:

علـــى قـــدر أهـــلِ العـــزم تـــأتي العـــزائم
وتـــأتي علـــى قـــدرِ الكـــرامِ المكـــارِم

فالمعادلة واضحةٌ وجليَّةٌ لديــه. فطريـق المجد مصحوب بالعزيمة، وسبيل السؤدد عملٌ ودأبٌ دون مللٍ وتجنُّبٍ للموبقات. مَنْ أخذَ بهذهِ المعادلة وصل إلى المجد والسيادة. إنه قـاسٍ على نفسه، فلا تهاون ولا تخاذل. فعلاقته مـع المرآة لم تأخذ القسطَ الأعظمَ من حياته بل حدَّدَ علاقته بشرط دون أن يتقاعَسَ عـن واجبـه، وينسى حقوقَه وطموحاته:

وللخـــودِ منِّـــي ســـاعةٌ ثـــمَّ بيننـــا
فـــلاةٌ إلـــى غيـــرِ اللقـــاء تجـــابُ
ومـــا العشـــق إلاَّ غـــرَّةٌ وطماعـــةٌ
يُعـــرِّضُ قلـــبٌ نفْسَـــهُ فتصـــابُ

ويأتينا السؤال. هل كان المتنبي ضـعيف الصلة بالنساء؟ هل له نظرةٌ معيَّنَـةٌ لعلاقتـه بهنَّ؟

إنَّ المتنبي يرغب في ذلـك كغيـره مـن الرجال، ولكن لا يستطيعُ أمام صـورةِ المجـد والطموحِ بالإضافة لتلك النفس التي لا تعـرف التنازلات والتهاون، وهو الـذي يملـك مـن

العظمة والإباء ما لا نجدهما في غيره. هذه العظمة ونظرة الاستعلاء على الآخرين أكثرت الخصوم والأعداء عليه. فتعرَّضوا له في كل مجلس في حياته وبعد رحيله ومماته حتى سمّي (مالئ الدنيا وشاغل الناس) فالاعتزاز في شعره يكثر ويتلون فيمنحنا صورة عن نفسه وعن طباعه. فهو كاتم للأسرار وجوّاب آفاق.

فشعر المتنبي نهرٌ متدفّقٌ لا ينضب عطاؤه، وهذا سرّ خلود المتنبي وكأنه بيننا وقد أعدّ عُدّتَهُ للسفر والترحال وراء المجد والشهرة. ولسان شعره يقول: هاتوا شاعراً نسجَ شعرهُ فلسفة وسلوكاً وحياةً وخلودا:

أين فضلي إذا قنعتُ من الدهرِ
بعيش مُعجَّلِ التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرز
ق قيامي وقلَّ عنه قعودي
أبداً أقطع البلادَ ونجمي
في نحوس وهمَّتي في سعود
عشْ عزيزاً أو متْ وأنت كريمٌ
بين طعن القنا وخفق البنودِ

هذا لون من نسيج المتنبي يجمع الغربة والعفّةَ والإباء والتحدي خلال معركة إثبات الذات في معركة الحياة الصاخبة. فتعلو نبرة صوته معبّرة عن خلجات نفسه وعن بوح أحاسيسه:

فاطلب العزَّ في لظىً وذرِ الذلَّ
ولو كان في جنانِ الخلود

لا بقومي شرفْتُ بل شرفوا بي
وبنفسي فخرتُ لا بجدودي

لم يعد خافياً على أحد موقف المتنبي من الحياة ومن الناس فهو إنسانٌ لا يعرف سوى السعي نحو هدف رسمه لنفسه معتمداً على ذاته، تحدوه إليه نفسٌ متفرّدةٌ بنسيجها وتكوينها في عصر ذابت فيه النفوس واضمحلت الأهواء. فصوت المتنبي لا يزال يطرق مسامعَنا وبعنف. علّهُ يجد فينا ما تمنّاهُ لنفسه. فماذا ترك المتنبي للأمراء والملوك وأولي الشأن؟ وهل هم أقلّ شأنا منه؟:

الخيلُ والليلُ والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

هنا تظهر عظمة المتنبي. وفي اعتقادي أن المتنبي كان مصاباً بداء العظمة والشهرة التي طالما سعى إليها وأحبَّ أن يوجدها ويزرعها في حياته. فها هو يفتخر بنفسه معتزّاً وناسياً دورَ قبيلته وحقّ له ذلك طالما أنَّهُ وضيعُ النشأة والحسب. ولكن استطاع أن ينسج لنفسه ثوباً عفيفاً مطرّزاً بالعزّ والفخار. تصدر منه إشعاعاتٌ ساطعة توخز أولئك الناس الذين حاولوا الطعن له والتقليل من شأنه ومكانته:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمَمُ

وكذلك قوله في بيته الرائع:

أنـــــا تـــــرب النــــدى وربُّ القـــــوافي
وســــمامُ العــــدا وغــــيظُ الحســــودِ
أنــــــا فـــــي أمــــةٍ تــــداركها الله
غريـــــبٌ كصـــــالح فـــــي ثـــــمود

إنَّها صيحة الاغتراب والإحساس بالغربة أينما ذهب وحلَّ وارتحـل غريـبٌ بتصـرُّفاته وبعلاقاته مع الناس ومع الأهل والأقربين. كـم نهتزُّ طرباً أمام عمق هذه الأبيات! وكم نفتخـر بمثل هذه الشخصية العربيـة التـي التزمَـتْ بمقومات الشباب من فتوة وحكمة وقوة مهمـا كبر السنّ وظهر الشيبُ في مفرقِ الرأسِ:

وفـــي الجســـم نفـــسٌ لا تشـــيب بشـــيبه
ولـــو أنَّ فـــي الوجـــه منـــه حـــراب

إنه الإنسان الذي لا يستريح لهـدف، ولا يهدأ له بال دون أن يسعى ويكدَّ وراءَ المجـدِ الشريف الذي يُؤخَذُ ولا يعطى:

ولا يـــدرك المجـــد إلاَّ ســـيِّدٌ فطـــنٌ
لمـــا يشـــقُ علـــى الســـاداتِ فعَّـــالُ

ويطول الحديث عن المتنبي وهـو الـذي شغل من سبقنا بالدراسات والنقد. وأعتقد أنـه لا يوجد أديب في العربية علـى مـرِّ الزمـان تعرَضت له الدراسات الأدبية والنقدية بالدراسة والنقد كالمتنبي. ولا تزال الدراسات متواصـلة أمام شخصية. متجسِّدة في الحاضر والماضـي وأمام أدب وشعرٍ خالدٍ لا يفقد قيمتـه بمـوت صاحبه أو بانتهاءِ عصره. وهذا سـر خلـود الأدب والأديب. وكأنَّ المتنبي استكشف خفايـا النفس الإنسانية إلى يومِ تقوم الساعة. ليسمعْ بعض حكمه التي تختم بها رحلتنا:

ومـــن نكـــدِ الـــدنيا علـــى الحـــرِّ أن يـــرى
عـــــدوّاً لـــــه مـــــا مـــــن صـــــداقته بـــــدُّ

وكذلك:

إذا أنْـــــتَ أكرمْـــــتَ الكـــــريمَ مـــــلكته
وإنْ أنْـــــتَ أكرمْـــــتَ اللئـــــيمَ تمـــــرّدا

يا لروعة هذه المعاني! نَستَشـفُّ منهـا نفسيَّةَ المتنبي وروحه. فلا أجد فيها إلا نظـرة العقل الصائب والإحساس الصادق والتمعُّن في حياة الناس وطباعهم. أبعد كلِّ هذا ألا يحقُّ له أن يتزعَّم مملكةَ الشعر العربي قديمِه وحديثِه؟ فشعر المتنبي بحرٌ هائجٌ متلاطمٌ منـه يسـتمدُّ الشعراء وفي أعماقه يغوص النقاد.

ومن مجوهراته تُرَصَّـعُ العقـودُ مُزيِّنـة النحور والألباب. هذا ما خلصـنا إليـه وهـو غيض من فيض وقطرةٌ من حوض ولكن تظهر الأبيات القلية التي استشـهدنا بهـا شخصـية المتنبي بسلوكها ونظرتها للحياة منقولة حكما وآراء. فاندَمجت هذه الحكـم لتكـون سـلوكا وعقيدةً وهذا عينُ الحقيقة عندما تفسِّرُ الأقوال إلى أفعالٍ..




ماذا أقول؟؟!

شعر: علي محمد حبيب

ريـــمٌ علـــى ســـفح الخميلـــة أحـــورُ
مـــا انفـــكَّ تيهـــاً بالغلالـــة يخطـــرُ
مستعرضـــاً دلـــعَ الحِســـان بمـــائسٍ
فيـــه انتهـــت كـــل المفـــاتن تســـكرُ
لكأنّمـــا جـــيش الجمـــال مـــن الغِـــوى
مســـــتنفرٌ في قـــــدّهِ ومزمجـــــرُ
مَـــنْ ذا رأى ريـــم الفـــلا بمهابـــةٍ
يمشـــي علـــى وقـــع الخطـــوب وينظـــرُ؟!
ويـــلاهُ منـــهُ ومـــن أوامـــر لحظـــهِ
مـــن لاعـــجٍ بـــين الحشـــا يتحسّـــرُ
حتّـــام أبقـــى كالفراشـــة تكتـــوي
بالنـــار وهـــيَ للـــهفها لا تشـــعرُ
عامـــان والغـــنج النفـــور كغيمـــةٍ
تعِـــدُ الظمـــيْ لكنّهـــا لا تمطـــرُ
عامـــان والقلـــب الشـــغوف بـــإثرهِ
يعـــدو ومـــا يُبـــدي التـــدلل أصـــبرُ
مازلـــتُ أنشـــدُ قربـــهُ متـــأمّلاً
باللحظـــة اللائـــي لوصـــلٍ تســـفرُ







حتـى انجلـى ليـل الجفـاء وأشـرقتْ
شمـــس التـــداني بـــالحبور تبشـــرُ
فغـــدا التلاقـــي بيننـــا أهزوجـــةً
تـــترى كمـــا يـــترى الربيـــع المزهـــرُ
واحـــرّ قلـبي مـــا أقـــول بمـــن حكـــاهُ
الغـــنج ســـحراً فـــاح منـــهُ العنـــبرُ
مـــاذا أقـــول وقـــد خـــبرتُ صـــبابتي
كـــالبحر صـــارت مـــن شـــغافٍ تهـــدرُ
أوَ لـــيسَ مـــن حـــقّ المحـــبّ إذا راى
محبوبَـــه مـــن بعـــد نـــأيٍ يحضـــرُ
ُن يجـــتني ثمـــراً تـــوازعَ حســـنهُ
رِدفٌ وأعطـــافٌ ووجـــهٌ مقمـــرُ
فمهفهـــفٌ يحميـــهِ صـــدرٌ نـــافرٌ
ومراشـــفٌ مكنـــوزهنّ السّـــكرُ
فـــدخلتُ معركـــة الغـــرام وكلّـــني
علـــمٌ بـــأنّ العشـــق مـــوتٌ أحمـــرُ
لكـــنّ ريمـــي لم يشـــأ أن يُصـــطلى
قلـــبٌ تـــولاهُ الشـــغاف المُســـكرُ
قســـماً ســـأبقى عاشـــقاً لغناجـــهِ
مـــادام ينـــبض بالحيـــاة الأصـــغرُ




آدم وحواء والجنة

بقلم المهندس:
كمال راغب الجابي

أهدت إلي الشاعرة المبدعة بشرى الحموي كتابها الذي عنونته (من أخرج حواء من الجنة) والذي أضافت عن طريقه أربعاً وعشرين ليلة إلى ليالي شهرزاد. وكانت من وحيه هذه الأبيات التي أهديها إلى هذه الشاعرة الحائرة الباحثة عن الحقيقة، وعن الجنة، وعن من أخرج حواء منها..

ألف وخمس وعشرون
أصبح مجموع ليالي
خريجة السجون..
التي أخلوا سبيلها
حديثاً..
بعد أن اكتشفوا.. أنها
نبية الحب
وسيدة الحرب بالكلمات
ونبتة القلب
وامرأة لكل المناسبات
وعبدة الرب
وزعيمة قافلة التائبات
وأن إلهاً أخراً حل فيها
محل سابقه (بعل)
وقام بإروائها
بمياه فوارة الدفقات
فجعلها تحتل قلوب الرجال
وجعل الرجال يحتلون تضاريسها
ويحجبون رأسها وعقلها
ويحولونها إلى واحدة من التابعات
لكنها..
عندما أسفرت عن تبرمها
من شدة المحل!..
وأشهرت روحها وقلبها
وأشرعت العقل!..
سارعوا إلى قتلها
بقلم من كحل!..

* * *

وأما أخت الرجال
فقد امتشقت القلم
وأغلقت كتاب العلوم
أمام قبضة تراب ناشفة
غير صالحة لزراعة تفاح
لا يجري قضمه
بحب واشتعال
وأوصدت الأبواب
في وجه من يمارسون الكذب
مع حلف الأيمان
ببساطة المحترفين
كما يمارسونه
في الأول من نيسان
وسدت النوافذ
في وجه جميع المصابين
بعمى الألوان
الذين أرادوها
للعب كل الأدوار
في زمن السيليكون
والذين ما فتئوا يتطلعون
إلى عطاءات السماء
وما زالوا يحلمون
بنجمات أربع مضيئات
ونجيمات صغيرات متناثرات
تستطيع أن تمتد لها الأيمان
لامتلاكها وافتراشها
برخصة من الفقهاء

* * *

وأرسلت شهرزاد
النداء الأخير
قبل الإبحار
في عيني..
فارس أحلامها الأمير..
وقامت برحلة استكشافية
إلى أدغال روحه الغامضة
تتأمل خريطة بيت المستقبل
برؤى طه حسين
وعيني زرقاء اليمامة
ورغم أنف إقليدس
وقوانينه الصارمة
التي لا تعترف بالانحناء
وتحول بين الخطوط المتوازية
وبين إمكانية الالتقاء
في زمن انتهت فيه المعجزات
ونفذ منه الحب
وتضاءل فيه الصفاء
وظلت شمسها
التي لا تسطع إلا في الصباح
تراقب قمره
الذي لا يظهر إلا في المساء
دون أن يجرؤ أحدهما
أن يتخطى..
الحدود الفاصلة
والإشارات الحمراء..

* * *

وفي الليلة العشرين
وعند توقف حساب السنين
وخلال تناولها
لكأس من التوت الشامي
عادت المعجزات فجأة
تقتحمها وتخترقها
على أجنحة من الحنان
وعبر نسمات من الحنين
حاملةً معها الثورة
على قانون النسبية
والاستعاضة بالجزء عن الكل
والربع عن الواحد..
كما أفتى العلماء
الذين أدخلوها
بفتاواهم السنية
في مدارس النساء
بينما كانت هي
لا تزال تصلي
وتختم صلاتها

بتمن ودعاء
بأن يصلح الله الأحوال
فيما يتعلق بالرجال
وعندما أصبح غصن الياسمين
في الرابعة والعشرين
احتسب عند الرب
الشرق ورجاله
دون أن يفقد الرجاء

* * *

ولا تزال شهرزاد
تبحث عن الحقيقة
وعن الجنة..
وكذلك يفعل شهريار
رغم أن الحقيقة
تتناثر من عينيه
وتملأ ذرات الهواء
وتتكاثف على شفتيها
فوقٍ أكوام الطلاء
معلنةً عن نفسها
بهمسٍ يشبه الصراخ
مطالبة
بالوصول إلى الوصال
بطريقٍ مأمون أو مشروع
ومعلية من حسها
بانفتاحٍ يميل إلى الانتفاخ
متطلعة
للحصول على الأموال
رغم أنف الممنوع
فكلاهما أخرج من الجنة
لممارسته الاستلاب
وشعوره بالاغتراب
وكلاهما لن يدخل إليها
إلا بالعودة
إلى طريق الصواب
وعند إحساسه بالحرية
في الابتعاد والاقتراب
حسب ما يرى الحكماء
وليس ما يرى الأدعياء

* * *

وأما الجنة نفسها
فالقلب هو نبيها
والعقل هٍو رسولها
وهما معاً دليلها
إلى الصراط المستقيم
أو خط الاستواء
والقناعة والاقتناع
والإخلاص والوداد
هي أهم أركانها
وسبل الرضى والرشاد
التي تقوم عليها
متعة اللقاء والالتقاء
والطريق إليها
لا بد أن يمر
عبر بوابة الحب
لأن حاءه اللاهبة
أو شقه الروحي
هو جواز السفر إليها
ولأن باءه الواهبة
أو شقه الجسدي
هو الصورة اللاصقة فيه
والتي لا يمكن بدونها
من التعرف على شخصية
الراغب في العبور
وتلمس مواصفاته
التي ينبغي أن تظهر
جلية في النور
وواضحة في نقاء

حاشية

ورد في الإصحاح الثاني من سفر التكوين من التوراة توصيفاً للجنة وتسميةً لها باسم (جنة عدن)، مما يستدل من السياق السردي للنص

المتعلق بذلك بأن هذه الجنة تقع في الأرض وليس في السماء حيث جاء فيه: (.. وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً. ووضع هنالك آدم الذي جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحيوة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر. وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. اسم الواحد (فيشون) وهو المحيط بجميع أرض (الحويلة) حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد هنالك المقل وحجر الجزع. واسم الثاني (جيحون) وهو المحيط بجميع أرض (كوش). واسم النهر الثالث (حداقل) وهو الجاري شرق (آشور). والنهر الرابع (الفرات). وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت. وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره..).. وبعد أن جبل الإله حواء من ضلع آدم وأحضرها له كما ورد في الإصحاح نفسه قامت الحية في الإصحاح التالي أي الثالث بإغراء حواء بالأكل من تلك الشجرة بقولها لها بأنها وآدم لن يموتا إذا أكلا من ثمارها لأن (.. الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر.. فأخذت المرأة من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً منها فأكل. إذ انفتحت عينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر.)

ويستمر الإصحاح بالسرد بأن آدم وامرأته اختبئا عندما سمعا صوت الإله الذي كان يتمشى في الجنة. وأنه لدى سؤاله لهما عن سبب اختبائهما أجاب آدم بأنه اختبأ لأنه عريان ولما سأله عن الذي أعلمه عن عريه واستفسر فيما إذا كان أكل من الشجرة التي أوصاه أن لا يأكل منها. فقال آدم بأن المرأة التي جعلها معه هي التي أعطته من الشجرة فأكل. وعندما سأل الرب المرأة عن سبب فعلتها أجابته أن الحية هي التي أغرتها فأكلت منها. فلعن الرب الإله الحية وجعلها تسعى على بطنها طول حياتها وقال للمرأة (تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك. وهو يسود عليك) وقال للرجل (لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود. ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حي.. وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر. والآن يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن (الكروبيم) ولهيب سيف متقلب لحراسة طريقه شجرة الحيوة.)..

فالجنة هي، حسب التوراة، جنة أرضية جرى تحديدها فيها في (عدن) كما جرى توصيف موقعها والمواقع المجاورة لها عن طريق النهر ذي الأربعة رؤوس الذي يرويها، والذي لا تزال رؤوسه أو فروعه الأربعة موجودة بالأسماء والأوصاف التي وردت في التوراة، أو بأسماء مقاربة لها توثقها المراجع الجغرافية القديمة لمنطقة (عدن) في بلاد اليمن مثل نهر (سيحون) بدلاً من (فيشون) و (الثرات) بدلاً من (الفرات)، ومثل وصف ذهب (الحويلة) بالجيد، وتشبيه المقل بالحصى، وحجر الجزع بالخزف اليماني حسب المعنى المعجمي لكلمة (الجزع).. مما يشير إلى احتمال وجود تلك الجنة في تلك المنطقة بالذات. وأنه جرى إدراجها في التوراة نتيجة لتناقل الأساطير المتعلقة بها بين أرجائها وفي أنحاء المناطق المجاورة لها في الجزيرة العربية والتي كانت مسرحاً لتلك الأساطير ومرتعاً لمن قام بتدوينها وضمها إلى التوراة عند كتابتها.. ومما يشير أيضاً إلى احتمال تقديم هذه الأساطير المسوغات لانتزاع حقوق النساء الإنسانية بإلصاق أمر العصيان بحواء لأنها هي التي أكلت من ثمار الشجرة المحرمة وأعطت (آدم) ليأكل منها.

لذلك جعله الإله وحسب النص هو الذي (يسود عليها)..

وإذا ما رجعنا إلى معاني بعض الكلمات التي وردت في النص التوراتي الذي أشرنا إليه مثل كلمة (الجنة) نفسها القريبة من كلمة (الجنينة) والتي تعني لغوياً (البستان) ذي الأشجار الكثيفة التي تستر محتوياته. ومنها أتت كلمة (الجن) أي المخلوقات المستترة غير المرئية. ومثل كلمة (الرب) والتي تعني لغوياً المالك ومنها أتى تعبير (رب العمل) و (رب البيت) أي صاحب العمل أو البيت.. ومثل كلمة (الكروبيم) التي تعني في اللغة العبرية المخلوقات المجنحة أي ذات الأجنحة..

وإذا ما قرأنا هذا النص على ضوء هذه المعاني وبروية وتمعن وتأملنا في مجمل مفهومه، لتبين لنا بأنه قد يكون المقصود فيه بأن هنالك أحد الأرباب أو المالكين لإحدى الجنائن ذات الأشجار المتنوعة والكثيفة التي كانت تحجب ما يزرع داخلها والذي كان يضم فيما يضم نوعين من الشجر كان لهما في ذلك الزمان أهمية اقتصادية فائقة. إحداهما شجرة (البخور) أو شجرة (معرفة الخير والشر) التي كانت عيدانها تستعمل في المعابد وفي الاحتفالات الدينية فتفتح الأذهان وتنبه الأحاسيس فتجعلها أكثر تقبلاً للمعرفة وأشد تمييزاً للخير والشر. والأخرى هي شجرة (المر) أو شجرة الحيوة والتي كان تستعمل في التحنيط، وفي مصر الفرعونية بالذات، والذي كان يعد بالنسبة لها استمراراً للحياة ووسيلة للخلود.. وكانت أهمية (المر) تفوق (البخور) لكونها تتعلق بالحياة التي هي أثمن من المعرفة ولكونها كانت تصدر إلى مصر لقاء أثمان باهظة. إذ كانت تعتبر (بترول) ذلك الزمان ومصدر الثراء فيه. لذلك كان حرص رب (الجنينة) أو (الجنة) كبيراً على هذين النوعين من الأشجار للاستئثار بكامل المنافع التي تعود عليه منهما. وعندما ترامت إلى مسامعه أخبار قيام (آدم) الفلاح الأسمر بلون التراب الذي يتعامل معه، والذي عينه وكيلاً له على أملاكه ووضعه في الجنة (ليعملها ويحفظها) مع امرأته **التي صنعها** له من ضلعه أي من طينته وجلبها وجعلها زوجة له، والتي صار (ضلعها) أي هواها وميلها معه حتى (تضلعت) منه بمعنى امتلأت شبعاً ورياً من عطاياه.. بسبب لجوئه إلى التصرف ببعض محصول أشجار البخور بـ (أكله) وامرأته لقسم منه واستثماره لحسابهما. مما جعل الرب يخاف من تماديهما وأكلهما لمحصول شجرة (المر) أيضاً، وهو المحصول الأثمن والأغلى. فطردهما من جنته، وأهبطهما خارجها بعد أن خشي أن يصبحا مثله (عارفين الخير والشر) أي أن يصبحا مثله أثرياء لأن الخير يعني فيما يعني (المال) والشر يشير في أحد معانيه على إمكان إثارة الفتن بغرض جمع المال أو لأي غرض آخر.. ولم يكتف بطردهما بل قام بوضع حراس مزودين بدروع كالأجنحة وبسيوف قاطعة (لاهبة) وبدوريات دائمة (متقلبة) لمنعهما من الدخول إليها ثانية وإعادة محاولة الاستيلاء على محصول هاتين الشجرتين. وفرض على (آدم) العودة إلى عمله كفلاح والحصول على رزقه بعرق جبينه. وفرض على (حواء) أن تكون تابعة له بعد أن كان تابعاً لها وملبياً لرغباتها بدلالة استلابه لأموال الآخرين لتتمتع بها وتتنعم فيها. كما جعلها تعاني في أثناء الحمل والولادة، والذين هما وظيفتها في الحياة، من الألم بشكل أكثر (تكثيراً أكثر أتعاب جعلك وبالوجع تلدين أولاداً) بسبب عدم توفر الظروف المريحة التي كانت مؤمنة لها في (الجنة) التي لم تحافظ على حرمتها، ونتيجة اضطرارها للخضوع إلى متطلبات الحياة، التي تقوم بمنحها للآخرين عن طريق الولادة، وقد يكون المراد من إدراج الحية في هذه القصة الإشارة إلى التمسك بالحياة التي يشير لفظ الحية إليه حتى لو فرض على من يتمتع بها السعي على بطنه على مدارها. أو استخدام بطنه لاستمرارها كما يشير لفظ (حواء) المشتق من (الحية) أيضاً إليه..

وأما القرآن الكريم فعبر عن الجنة بأوصاف يبدو منها أنها تقع في الأرض أيضاً

وليس في السماء. وقد جاء ذكر هذه الأوصاف في سور كثيرة منها سورة البقرة التي جاء فيها ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ٣٥ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتع إلى حين ٣٦ ﴾ ومنها سورة طه التي جاء فيها ﴿فوسوس إليه الشيطن قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ١٢٠ فأكلا منها فبدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ١٢١ ثم احتبه ربه فتاب عليه وهدى ١٢٢ ..﴾ ومنها سورة الأعراف التي جاء فيها ﴿.. فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءتيهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ٢٠ .. فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما.. ٢٢ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتع إلى حين ٢٤ ..﴾ إذ يلحظ من آيتي سورة البقرة بأن آدم وحواء كانا يعيشان في نعيم مقيم في الجنة التي أسكنهما فيها الله وأن الشيطان أزلهما معاً وأخرجهما سَويةً من هذا النعيم.. كما يلحظ من آيات سورة طه بأن الشيطن (وليس الحية) وسوس لآدم (وليس لحواء كما ورد في التوراة) وأن آدم هو الذي عصى ربه وغوى أي وضل. وأنه أي (آدم) كان يعرف معنى الموت، الذي هو مفهوم أرضي، وأنه لو لم يكن يعرفه لما غره قول الشيطان الذي وعده بالخلود. كما أنه لو كان يعيش في جنةَ سماوية تسود فيها المشاعية لما عرف معنى الحيازة ولما انساق لوعد الشيطان له بملكية لا تزول (ملك لا يبلى).. وأما آيات سورة الأعراف فتؤكد بأن الشيطان وسوس لآدم وحواء معاً وأنه أوقعهما سوية فيما أراده لهما (فدلاهما بغرور) من إدلاء الدلو. وانهما معاً كانا يعرفان معنى الخلود ومعنى الملكية (تكونا ملكين، أو مالكين، أو تكونا من الخالدين)..

كما ويلحظ في جميع هذه السور أن عملية الاستلاب التي قام بها (آدم) و (حواء) بأكلهما مما لا يحق لهما أن يأكلا منه جعلهما يشعران بالسوء الذي عملاه ويربطان هذا السوء بالسوءة أو (العورة) لديهما حيث لا يزال مرتبطاً بها حتى الآن. وأما العصيان والغواية فقد ربط بالآية ١٢١ من سورة طه بآدم فقط ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ وكذلك التوبة ربطت بآدم وحده في الآية ١٢٢ من السورة نفسها ﴿ثم احتبه ربه فتاب عليه وهدى﴾. ولم يجر التطرق إلى توبة (حواء) في هذه السورة أو في السور الأخرى التي تعرضت لهذه القصة. وقد يكون لذلك أثره في استمرار النظر إلى حواء وعورتها نظرة مغايرة لآدم وعورته في قادم الأيام.. كما قد يكون المعني بالنص الوارد في الآية (٣٦) من سورة البقرة والمعاد في الآية (٢٤) من سورة الأعراف والذي يتضمن (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) تصويراً لحالة الانحدار المعنوي وليس المادي الذي تعنيه كلمة الهبوط هذه الحالة القائمة في الحياة بين الظالم الذي تدفعه رغبته في استلاب حقوق الآخرين إلى ممارسة الظلم عليهم وبين المظلوم الذي تدفعه طبيعته المخالفة إلى مقاومة هذا الاستلاب والدفاع عن حقوقه. لأن العدو لغة هو ضد الولي أي المعارض وغير الموالي، ولأنه يصعب تفسير فرض رب العالمين للعداوة المطلقة على البشر دون ربطها بالظلم الذي تعد الرغبة في الاستلاب سببها الأقوى..

ويمكن أن نستخلص من هذا التحليل المبسط للنصوص التي أوردناها بأن الجنة هي المكان الذي يحيا فيه الإنسان حياةً سعيدةً رغيدةً. وأنه بإمكان أي إنسان أن يحول أي مكان إلى جنة وأن يحيا بين جنباته بهناء وراحة إذا لم يستلب ما لاحق له به، ولم يسع إلى الخلود بمعنى أخذ دوره ودور غيره، ولم يتطلع إلى الاكتناز والحصول على (ملك لا يبلى).. ومن هنا أتت مقولة (القناعة كنز لا يفنى) على ما نتصور.. كما يمكن أن نستخلص بالأسلوب نفسه بأن عدم اختيار (آدم) لـ (حواء)

وعدم اختيارها له باعتبارها أحضرت له من قبل الرب بعد أن صنعها من (ضلعه) أي من (طبيعته) نفسها هو الذي جعله ينقاد إليها وجعلها تنقاد إليه في النزوع إلى الاستلاب لأنها من (طينته) نفسها. ولو كانت من طينة أخرى أو من طبيعة أخرى لمنعته من القيام بما قام به، أو لمنعها من القيام بما قامت به، ولما خرجت وإياه من الجنة..

وعن طريق هذا التسلسل السردي لهذه القصة يمكن التأسيس لإرساء منظومة القيم الخاصة بمكارم الأخلاق التي ينبغي أن تقوم عليها الحياة السوية، أو يمكن وضع القدم على أول الطريق المؤدي إليها.. مع التنويه بأن هذه القصة لم تغفل الإشارة إلى الصراع الدائر بين الأرباب (المالكين الأثرياء) وبين من ينازعهم على الاستئثار (بمعرفة الخير والشر) أي بمعرفة طرق الوصول إلى المال الشريرة أو غير المشروعة والتي عبر عنها في قادم الأيام الحديث الشريف القائل (ما جمع مال من حلال قط..)..

هذا ويمكن في سياق القصة نفسها، بشقيها التوراتي والقرآني، وعند استبعاد تأويل الإشارات الرمزية الغنية التي تعج فيها بالمنحى الذي ذهبنا إليه، والاستعاضة عنها بتأويلات لا تركز على المنحى الأسطوري، وإنما تتجه نحو اعتبار أن الجنة المقصودة بهذه النصوص تقع في السماء وليس على الأرض. يمكن استنتاج أن خروج (آدم) و (حواء) من الجنة قد يكون بسبب رغبتهما في تغيير الأسلوب المعتاد المكرور الذي كانا يمارسانه فيها، والذي يبعث على الملل حتى لو كان في الجنة نفسها، ونتيجةً لتطلعهما إلى المعرفة عن طريق محاولة تجريب الجديد. حيث أوصلهما هذان العاملان إلى التعرف على (العمل الجنسي)، الذي تعد الشجرة المحرمة رمزاً له، والذي يظن أنهما لم يكونا قد توصلا إليه في الجنة بدلالة عدم وجود أولاد لهما فيها. إذ قاد هذا العمل إلى الحمل أولاً وإلى طرد ثمرته من الرحم المريح الذي يقيم به الجنين بجنسيه بعد ذلك. وطرد (آدم) و (حواء) من الجنة هو ترميز لطرد المواليد الذكور والإناث من الرحم المريح الذي كانت تعيش فيه في بداية تكونها وقبل خروجها منه بالولادة..

وتتجلى حقيقة الخلق أو التكوين، كما ترمز إليه هذه القصة بهذا المنحى، في قيام الأبناء الذين أنجبهم (آدم) و (حواء) إثر طردهما من (الرحم) أو من (الجنة) بتكرار عمل آبائهما أي بـ (العمل الجنسي) وبعد تعرفهما على مفهومي (الخير والشر) بمعناهما الشائع الذي يشمل المعنى الرمزي الذي أشرنا إليه. وبحيث يهفو من يقوم بممارسة الأعمال الخيرة التي ترضي الخالق منهما، إلى الدخول لجنة النعيم في المرحلة القادمة، للتنعم بحياة الدعة والسكون والراحة المطلقة، بالشكل نفسه الذي كان ينعم به في رحم أمه في المرحلة السابقة. بينما يظل من يمارس الأعمال الشريرة التي تغضب الخالق منهما يتقلب في جحيم رغباته ولهيب نزواته في المرحلة التي يعيشها خارج رحم أمه في وضع مشابه بل أكثر إرهاقاً وإحراقاً من الناحية المعنوية من نار الجحيم..

وبعد..

هل يتبدى إثر هذا العرض بشقه الأرضي الذي لا يفتقر في اعتقادنا إلى المنطق، وبشقه السماوي الذي يمزج بين المنطق وبين التسليم بعد أن يوفق بين مفاهيمهما دون أن يغفل تعليله.. هل يتبدى من أخرج (حواء) من الجنة، ومن أخرج (آدم) منها أيضاً؟.. وهل يتبين بعد هذه الرحلة القصيرة على الورق، والطويلة في الواقع وعلى الأرض بطول باع أساطيرها، وطول ذراع رسالات السماء وتعدد فروعها وتشعب أنواعها.. هل تتبين معالم الطريق الذي ينبغي على كل من (آدم) و (حواء) سلوكه للعودة إلى فردوس الهناء؟.. أم لا تزال الأمور متشابكة بتشابك هذه الأساطير والرسالات، ومتداخلة بتداخل النساء مع الرجال والرجال مع النساء، ومتمازجة بتمازج الثقافات والآراء والتوجهات وباقي الأشياء، ومتناثرة بتناثر الأوصياء في كل الأرجاء، ومتكاثرة بتكاثر الخبثاء وتكاثر البسطاء على حد سواء؟..




شاعر..

شعر: خالد سرحان الفهد

عاشــــقٌ غنـــــى، وطـــيرٌ غـــــردا
إنمـــا الطــيرُ إذا نــاح شــدى
حاديـــــاً تطربُـــــهُ أحزانُـــــهُ
كلمـــا مـــر بـــه غُلْـــبٌ حـــدا
أي قلـــبٍ حـــل في أضـــلعهِ
عربـــد الكـــونُ إذا مـــا عربـــدا
فـــيرى العنقـــود أعطـــى دمَـــهُ
راغبـــاً، مـــن ظُلِمـــوا، واستشـــهدا
ويـــرى الأقـــداحَ حـــوراً وقفـــتْ
رُكعـــاً بـــينَ يديـــه سُـــجّدا
وطيـــوفَ الجـــنّ في محرابـــه
معجبـــاً حاورهـــا واســـتطردا
ذكـــر الـــدنيا علـــى صـــبوتها
شـــاطئَ صـــدّ وموجـــاً أزبـــدا
يـــتراءى وهـــو في مضـــجعه
فرســـاً هبـــت وســـيفاً جُـــرّدا
لا تســـلْ دعـــهُ علـــى إقبالـــهِ
كـــل مـــا عـــاش لـــهُ ولى سُـــدى
وإذا مـــا ابـــيض يومـــاً مفـــرقٌ
إنمـــا خَلّـــفَ قلبـــاً أســـودا




العبقرية..

بقلم:
خديجة بدور

إن العبقرية هي أروع زهرة تتوج الجهد البشري وبما أننا نسعى إلى التطور في شتى نواحي حياتنا ونتطلع إلى حياة أكثر استقراراً وراحة، لهذا علينا أن لا نبخل ببذل المال والجهد في سبيل تشجيع وتنمية أحسن ما في الجنس البشري من مصادر وإمكانيات.

لأن الموهوبين عامل هام ورئيسي في تقدمنا المادي، فلولا العباقرة لبقيت حياتنا شاقة مملة ضيقة الأفق.

إننا بأمس الحاجة إلى قدرات الموهوبين أكثر مما نحتاج إلى التقدم المادي.

إننا بحاجة إلى مواهبهم في ميادين القيم والمثل الإنسانية، من عيش بسلام ومحاربة الاستعباد وأن نقف أمام قوى الظلم والطغيان في العالم.

لذلك علينا أن نتطلع إلى عبقرية الموهوبين وخيالهم وسعة أفقهم لإعادة النظر في مشاكلنا وخلق عالم أفضل من عالمنا.

فالموهوبون ذخيرة يجب أن تصان ولا يجوز أن تبدد لأنهم القوة التي تدفع بالبشرية إلى الأمام، وهي القلم الذي يكتب التاريخ وهو وديعة الوطن وثروته.

إذا كنّا نهتم بجمال الخلقة وتمام الصحة لأبنائنا إلاّ أننا نرى أن في يقظة الطفل واستجابته لما حوله ومن حوله متعة كبيرة نحن نحب أن نرى أطفالنا أذكياء جداً لسبب بسيط وهو أنهم يعكسون في ذكائهم نوعاً من الوراثة، فذكاء الأبناء يؤخذ في الغالب دليلاً على ذكاء الآباء.

وإذا ارتفع ذكاء الطفل لدرجة تجعله يعلو في تصرفاته كثيراً عمّا كان ينتظر منه بالنسبة لسنه قيل إنه موهوب.

فالطفل الذي تكون سنه عشر سنوات ويتصرف بما ينتظر من طفل عمره أربع عشرة

سنة لا شك أنه طفل موهوب والموهوبون ذخيرة يجب أن تصان ولا يجوز أن تبدد فهم وديعة الوطن وثروته.

فمن الخير للموهوبين ولنا أن نكشف هذه المواهب في سن مبكرة قبل أن نغلط مع الطفل الموهوب ونضره ونضر بمن حوله. إن إهمال أطفالنا الموهوبين وعدم الاكتراث بهم تقع على عاتق الأهل والمدرسة.

فمسؤولية التقصير تجاه الأطفال الموهوبين يتقاسمها الآباء والمدرسون وغيرهم. ولعلنا سمعنا أحد المدرسين الذين يعملون في إحدى المدارس يقول: "إنني مضطر لأن أترك التلاميذ النابهين الموهوبين لأنهم يستطيعون العناية بأنفسهم".

أما الطلاب الضعاف فلهم كل الوقت.

لذلك من الخطأ الفادح أن نترك الموهوبين يشقون طريقهم بدون عناية وتوجيه وأن نرعاه.

ويجب أن نعلم أن الموهبة والذكاء ليست حكراً على جنس معين أو على طبقة اجتماعية واحدة إنهما يخترقان الحواجز والفواصل بين الأجناس والطبقات. غير أن الموهوبين الذين ينتمون إلى طبقات اجتماعية عليا يحصلون على فرص أوفر للكشف عن مواهبهم.

فالموهوبون يأتون من بيوت فقيرة متواضعة كما يأتون من عائلات ميسورة مثقفة.

صحيح إن الوسط الاجتماعي المثقف يلعب دوراً كبيراً في ظهور العبقرية لأن الأهل يسعون دائماً لتنمية مواهب أولادهم لكن رغم أهمية الوسط إلاّ أنه ليس الأول.

وهناك بعض الأسر ترى في المتفوقين والعباقرة من أولادهم إنهم عقول جبارة متناسين أنهم يشبهون كثيراً بقيمة الأطفال في حاجاتهم الأساسية فهم يحتاجون إلى أن يسلكوا كأطفال لا كرجال بالغين فمن المهم أن يدركوا أن سرعة نمو طفلهم الموهوب في النواحي الانفعالية والاجتماعية قد لا توازي سرعة نموه العقلي في ضوء ذلك يمكنهم أن يوفروا له قدراً أكبر من الأمن والاطمئنان النفسي ومن المجالات التي يستطيع أن يمر فيها بخبرات اجتماعية متعددة ومتنوعة وبذلك يصبح هدف الآباء هو تحقيق النمو المتكامل المتناسق لجميع جوانب شخصيته.

فالأطفال الموهوبون يشبهون بقية الأطفال إلى حد كبير جداً ونظراً لهذا التشابه فإن طريقة معاملتنا لهم يجب أن تتشابه في نواحٍ كثيرة مع طريقة معاملتنا لبقية الأطفال وبالمختصر المفيد إن الحب والرعاية أمران ضروريان لجميع الأطفال لا بد من توافرهما في المدرسة والبيت حتى يصبح كل منهما مكاناً محبباً لهم للعيش أو للدراسة فيه.

فالأسرة التي يوجد فيها طفل واحد موهوب وأطفال آخرون أقل منه في ذكائهم ومواهبهم تواجه مشكلة من أخطر المشاكل تحتم على الآباء أن يكونوا في منتهى الحرص وإلاّ لحق الضرر بالطفل الموهوب وبأخوته العاديين.

كما أن استمرار الأهل في تدليل الطفل الموهوب وإهمال إخوته العاديين، فقد ينتاب الطفل الموهوب الغرور ويشعر بأنه أفضل من أخوته، بينما يمتلك أخوته الشعور بالنقص ويفقدون الإحساس بأهميتهم.

وإن وجدت عقبات ومشكلات في طريق الطفل الموهوب فإنه يمكن تجنبها عادة بمساعدة الكبار الذين يقدرون هذه المشاكل.

والطفل الموهوب يحتاج للمساعدة قبل بلوغه الثانية عشرة لكن كلما كبر استطاع استغلال ذكائه بشكل فعال في حل مشاكله الخاصة والسيطرة على مجرى حياته وتوجيهها.

ويكون أسرع وأنجح من زملائه في التغلب على مشاكله وإيجاد الحلول لها.

إن أهم الأخطار التي قد يتعرض لها الطفل الموهوب هو عدم اكتراث والديه بمواهبه العقلية والفنية وقد يصل الأمر إلى خنق هذه المواهب أو تدميرها.

وفي بعض الأحيان لا يشعر أولياء الأمور إطلاقاً بتلك المواهب التي لدى أطفالهم.

ويرى كثير من علماء النفس وعلماء التربية أن العبقرية لا تورث وإنما تصنع، فعوامل البيئة والتربية والإعداد والمران، كل هذه عناصر أساسية، حتى بالنسبة لمن منحتهم الطبيعة العديد من المواهب، أما الوراثة فإنها لا تقدم سوى (البذرة) التي يجب أن تغرس في التربة الملائمة، ثم نتولاها بالرعاية والتهذيب قبل أن تنضج وتتفتح.

إن الإبداع هو حصيلة توافق عدد من العناصر الذاتية الداخلية، مع عوامل أخرى خارجية أو بيئية.

وتكشف الدراسات أن كل شخص يمتلك قدراً ما من تلك المقدرة الخاصة، التي نسميها (الإبداع) وأنه يمكن تعهد هذه المقدرة وتنميتها بالتدريب والمران. ذلك أن السلوك الإبداعي يتضمن كثيراً من عناصر حب الاستطلاع، والرغبة في الكشف والارتياد وإثارة التساؤلات وتقديم إجابات غير تقليدية وغير مألوفة على هذه التساؤلات، وظهور كثير من علامات الاستقلال والتمايز في التفكير والتجربة.

ولابد من التميز بين الإبداع والذكاء، فلا توجد بالضرورة علاقة تطابق بين الإثنين فمقاييس الذكاء المعروفة ليست معياراً صحيحاً لقياس مستوى الأصالة والإبداع.

فهناك عدد كبير من العلماء يميلون إلى التمييز بين نوعين مختلفين من القدرات العقلية، قدرات استثنائية، يطلق عليها اسم (القدرات الإبداعية).

إن مستوى الذكاء المطلوب للإبداع يختلف من مجال لآخر، بحيث إنه قد يكون منخفضاً في بعض الأحيان إلى درجة تثير الدهشة فالمهم في الإبداع هو مدى قدرة الشخص المبدع على استخدام ذلك القدر من الذكاء الذي يتمتع به في إنتاج أعمال إبداعية وفي قدرته على أن يوجه هذا القدر من الذكاء لهذا الغرض بفاعلية واقتدار.

والإبداع ظاهرة عامة، يمكن أن نجدها في كل المجتمعات الإنسانية وفي مختلف مراحل التطور الاجتماعي والثقافي.

كذلك لا يقتصر الإبداع على سن دون أخرى، وإنما يمكن أن نجد إبداعاً فكرياً أو فنياً لدى الأفراد من مختلف الأعمار، فهناك الكثير من الإنجازات الكبرى في مجالات العلوم والفنون، قد قام بها أشخاص مبدعون في مراحل متأخرة من العمر. وكثيراً من الأعمال قد تدخل على التجربة الإنسانية العادية كثيراً من عناصر التحوير والتعديل التي قد تؤدي في النهاية إلى تغييرها تغيراً شاملاً. بحيث تتعارض مع الأوضاع التقليدية مما قد يمثل تحدياً لها.

فالإبداع أكثر تجلياً عند الإنسان حتى إنه يشكل بمعنى ما المظهر الأساسي للوجود البشري.

والإبداع ضرورة للإنسان كي يتكيف مع الظروف التي يعيش فيها فعليه أن يبدع ردات فعله على ظروفه القائمة.

فالوجود البشري كله إبداع، وبالإبداع تجاوز الإنسان المرحلة البدائية التي لو أنه اعتاد عليها لأعاقت تطوره بغية الوصول إلى ما هو عليه، وبالإبداع سوف ينتقل إلى مرحلة أرقى وأفضل عمّا هو عليه.

فالإبداع إحدى حلقات تطور البشرية. والذين يعتقدون بأنه لم يعد يوجد شيء ليتعلموه في أمور حالهم هم غير مؤهلين لإيجاد اختراعات جديدة.

فلكي يكون هناك عبقرية مميزة أو تفوق يجب أولاً أن يكون هناك مشكلة تعترض الدارس منها إثبات وجوده في مجتمع لم يرحمه أو أن يخرج من قوقعة العزلة التي يعيشها مع أقرانه والشعور بالاغتراب.

للأسف إن الكثير من الأسر لا يكترثون بمواهب أطفالهم ولا بتفوقهم مع أنهم يكنون لهم كل الحب، لكن ضيق أفق الآباء وقلة خبراتهم مما يؤدي إلى عدم تقديرهم لموهبة ابنهم اللامعة.

ويسود هذا الاهتمام في بعض الأسر ذات المستوى الاقتصادي والتعليمي المنخفض. أي تلك الأسر التي تشقى لتأمين المأكل والمأوى لأبنائها.

ومما يساعد على تنمية الإبداع وتدريبه، أن يوجد الطفل في وسط جماعة تتسامح مع الأخطاء، وتشجع على الاختلاف، ولا تكثر النقد، وتأخذ موقفاً تشجيعياً لأفكار أفرادها.

بينما يقضي على الإبداع، وجود الطفل في وسط جماعة تسلطية، تكثر من النقد ولا تتسامح إزاء الأخطاء، وتنبذ من يخرج عن المألوف وتسخر من الجديد، وتتسم بالصلابة وضيق حرية الحركة المسموح بها وممارسة أنواع من الضبط والعدوان والإحباط.

عن الإسراف في الانتقاد واللوم وإظهار السلبيات، خاصة عند بداية ظهور الأفكار الجديدة يؤدي إلى خوف الشخص وعندئذ يتراجع معيار تفكيره، وتنخفض بالتالي الأفكار المبدعة لديه كما يجب أن نحترم خيال الطفل، وأن نتجنب تعطيله وتعويقه وأن يكف الكبار عن الاعتقاد الراسخ لديه بأن ما يفكر فيه البالغون هو الصحيح والحقيقي فقط.

فالوالدان عندما يحاولان باستمرار توجيه ابنهما إلى الواقع، وإلى ما يعتقدان أنه مفيد وعملي كلما وجدا ابنهما محلقاً في سماء الخيال وأنهما يعوقان نمو خيال ابنهما بدرجة كبيرة أي أننا حينما نستهن بخيال الطفل، نوصد أمامه هذا الباب السحري إلى الأبد وهناك الكثير من الآباء يتملكهم القلق إزاء تخيلات الطفل في سن الثالثة معتقدين أنها قد تتحول في ذاكرته إلى أكاذيب وأوهام. وأنه لن يتعلم التمييز بين الواقع والخيال.

أما الحقيقة فهي أنه من الصعب أن يفرق الطفل في هذه السن بين الواقع والخيال.

وعلى الكبار أن يظهروا اهتمامهم بتصورات الأطفال الخيالية وأن يشاركوهم فيها بتأليف قصة مثلاً تدور حول تصورات الطفل الخيالية فيحس الطفل أن الحاضن يشاركه خياله ويتخيل معه. وكلما كبر الطفل وترعرع، اتضح له، طبيعياً، الخط الفاصل بين الحقيقة والخيال.

وعلينا أن نحترم رأي الطفل الموهوب والإجابة عن أسئلته بحسن تصرف مع احترام قدرته على التفكير.




ظالماً كان القرار..

شعر: علي مرهج

دون شكوى دونما أي حوار
أسدل الجاني الستار
نسف الأحلام لم يرع السكينه
وعيون الحب مرآة وفي الأعماق آفاق حزينه
آه من روح ضنينة
أثر اللوم وأبدى الإنكسار
ظالماً كان القرار
فغرامي لم يكن يوماً قفار
وغرامي لم يكن إلا سخياً ونديًا ومنار
يا عذولي إن لي فيك اشتياقاً واعتناقاً واعتبار
يا عذولي إن لي فيك انتظار
ظالماً كان القرار
أيّ جرم يقتفيني
أي ذنب يعتريني
غير أني لم اصدك
وعلى درب خطاك رايتي ظلت رهينه
توق عيني أن تراك
لهف نفسي أن تشملك
ومنايَ أن أضمك
(أنت عمري) والمآل
وهج نور وظلال
وأيادٍ كم أمينه
أنت كوني والمدار
ظالماً كان القرار
عتقت خمر الجرار
لحبيب قد تناءى وتمادى في الخصام
وانبرى يثني فؤاداً وغراماً صاعداً فوق الغمام
أين ذاك الوعد والعهد القديم
فأنا من عهد آدم والرقيم
لا أرى الحب خصاماً
بل وصالاً واقتدار
واعتصاماً وانصهار
ظالماً كان القرار
ظالماً كان القرار.




لقاء مع الشاعر السوري مصطفى أحمد النجار

حاوره: محمد العائش القوتي

مصطفى أحمد النجار شاعر وصحفي من جيل الستينات الشعري في سورية من أوائل من كتب قصيدة النثر، عرف بالمجموعات الشعرية المشتركة مع شعراء من سورية ومصر والأردن وتونس والمغرب، كتب الأشكال الثلاثة: العمودي والتفعيلة وقصيدة النثر تحتد عنوان: (التعايش بين الأنماط الشعرية ووحدة الماضي والحاضر والمستقبل وحوار الأجيال والإنسان جسد وروح)

كتب النقد إلى جانب الشعر منذ وقت مبكر ونشر في معظم الصحف والمجلات السورية والعربية.

يُدرّس شعره في المرحلة الابتدائية منذ عام ٢٠٠٢م، والجامعية في كلية الآداب بجامعة حلب منذ عام ٢٠٠٠م.

تناول شعره بعض المعاجم والكتب النقدية والأطروحات الجامعية، وترجم إلى التركية والإنكليزية، وأذيع له العديد من القصائد الشعرية.

عضو اتحاد الكتاب العرب بدمشق وفرع حلب وفي العديد من النوادي والروابط الأدبية في سورية ومصر والسعودية.

التقيته وأجريت معه هذا الحوار:

* شاعر أنت، فما رأيك في استخدام اللغة والرموز الأسطورة والإشارات الصوفية، والبيت الشعري الطويل، والبيت المدور ونمط القصيدة التشكيلية؟

** الشاعر الحق لا يقول عندما يريد أن يكتب قصيدته: نويت أن أكتب قصيدة ذات مواصفات محددة، سمراء أو شقراء أو بيضاء.. إنما يستجيب تلقائياً وما على القلم إلاّ

أن يركض فوق الورق الأبيض يسطر ما تمليه عليه اللحظة الشعرية، لحظة المخاض، لحظة الصدق النفسي والفني معاً، وهذا لا يعني بأن الشاعر لا يهتم بما أوردته في سؤالك الذي هو على قدر كبير من الأهمية، إنما الاهتمام باللغة أو بالأسطورة أو بالإشارة الصوفية وسواها، واستخدام تقنية البيت الشعري الطويل أو البيت المدور أو مقاربته إلى نمط القصيدة التشكيلية كل هذا وسواه مما يرفع بالقصيدة المولودة إلى مستوى جمالي رفيع، ويجعلها مرآة لتعبيره أو لخلقه، يكون مختزناً بذاكرته، بعقله الباطن، موهبة متأصلة، ومن ثم ثقافة واسعة في مقدمتها ثقافة الفن الشعري الذي يكتب ويعشق، وتجارب حياتية تسكن في حشاياه وتلافيف دماغه، وأعماق نفسه وحواسه، كل هذا المختزن ينثال فيكتب القصيدة تلبية لصدق اللحظة الشعرية التي تختار اللغة المناسبة والرمز إن استدعى الأمر لذلك أو الأسطورة، أو الإشارات الصوفية، واللحظة الشعرية تختار جملة شعرية طويلة تبعاً للدفقة الشعورية أو مدورة لمقتضى الحال.. وإلاّ تحولت القصيدة – كما يحدث – لعباً على اللغة فقط، بغض النظر عن سائر عناصر نجاح القصيدة جمالياً وفكرياً وعاطفياً، أو إثقال جسد القصيدة بطلاسم ورموز وإشارات صوفية وسواها لضرورة أو من غير ضرورة استجابة للراهن وللسائد، وتقليداً يغيب عنه صوت الشاعر وفرادته.

* من يقرأ شعرك يلاحظ إبحارك وانخراطك في الطبيعة والفضاءات الواسعة.. ماذا يمثل هذا المنحى في تجربتك الشعرية؟

** الطبيعة مثلما تسكنني تسكن في معظم قصائدي، والسبب أن طفولتي وصباي في رحابها. الطفولة مرحلة مهمة جداً في حياة الإنسان، فكيف بالشاعر؟ كانت الطبيعة معلمي الأول، وأنا مدين لها بمساحة الخضرة والأزهار والطيور والسماء حتى هذه اللحظة وحتى آخر نفس. لعل بعض النقاد المؤدلجين في يوم ما، ظلموها، فوصَّوْا المبدعين والشعراء بالابتعاد عنها فهي رمز للرومانسية، والواقع يستدعي الالتصاق بالواقع. وبعد سنوات عادوا فطلبوا من الشعراء الشبان الاغتراف من معينها، تائبين مستغفرين كما فعل مثلاً الشاعر السوري شوقي بغدادي.

والطبيعة تتسرب إلى قصائدي بأشكال مختلفة، وطرائق مختلفة، وهي ساكنة في ذاكرتي وعقلي الباطن مثل سواها من قراءات، فكتاب الطبيعة لا يقل أهمية عن كتب الشعر والفكر، من حسن حظي أني نشأت وترعرعت في أحضان مدينة البحتري ومقر إمارة أبي فراس الحمداني، ومسقط رأس أبو ريشة، مدينة (منبج) في فترة الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، ومن حسن حظي أيضاً أن أمضي سنتين من التعليم في قريتين إحداهما على ضفاف نهر الساجور وأخرى تنام وتصحو في أحضان أشجار الزيتون والرمان. كما حظيت من قبل بالطبيعة إذ كنت طالباً في المدرسة الزراعية القاطنة في عش الطبيعة، أو تلك التي تقارب نهر الفرات.

أنا لم أستجلب مفردات الطبيعة – إن وردت عندي – قسراً. فالشاعر مرهون بما قُدِّر له، وعليه أن لا يغمض عينيه إزاء كنوز الإلهام والجمال والجلال في الطبيعة إضافة إلى استيحاء الشعر في قيعان المدن الكبيرة.

إن معايشتي لهذه الفضاءات الواسعة في الطبيعة، أو الضيقة في حي شعبي عمالي من أحياء حلب، جعل من قصيدتي مرآة لها دونما افتعال، وجعلني أنفتح على جميع أنماط الشعر: العمودي والتفعيلي وقصيدة النثر، دونما موقف مسبق تجاه نمط دون آخر، نتيجة إملاء (شللية) ما، أو (إيديولوجية) ما. الشعر لا يقبل أي قيد مفروض عليه. الشعر استجابة داخلية فيها ما فيها من عوالم واقعية وفكرية وعاطفية وتخييلية.

* اللغة الشعرية الجديدة مدهشة لارتياد آفاق جمالية جديدة، فهل هذه اللغة تتشكل في ظل مواكبة العلم استناداً إلى المخزون المعرفي الذاتي؟

** ثمة شعراء في كل أنحاء العالم وفي كل الشعوب ولدوا شعراء.. لم تتح لهم فرص العلم والتعلم ولم يستطيعوا أن يتثقفوا إلا في مدرسة الحياة، هم شعراء بالفطرة وانقطاعهم عن مناهل العلم والثقافة لم يكن مدعاة لانقطاعهم عن قول الشعر، وانبجاسه مثل ينبوع.

هذا الوقع لا يتعارض مع ما يفتحه العلم من آفاق ومن عوالم أمام شاعر موهوب بالفطرة، بل إن العلم سيزيده خبرة ومهارة وتقنية.

أما إذا كان المعني بهذا السؤال هو التكنولوجيا العملاقة التي فتحت أمام الإنسان عامة فضاءات جديدة فاطلع بفضلها على منجزات العقل البشري، بعد ارتياده الفضاء والحفر عميقاً في طبقات الأرض، أو المعني بوسائط الاتصالات المذهلة التي جعلت الكرة الأرضية قرية صغيرة كما يقال، وما قام به مثلاً (الإنترنت) من خلق حالات جديدة، فإن تأثير هذه الإنجازات ولا ريب كبيرة على الإنسان المعاصر، والشاعر أكثر حساسية من سواه، فالتأثير يأخذ شكلين: أولهما ما سوف يتغير في النفس المرهفة الشاعرة من عواطف ورؤى ومشاعر، وثانيهما محاولات الشاعر باستخدام هذه المنجزات ضمن نسيج القصيدة ومعماريتها، وقد قام بعض شعرائنا المحدثين بمثل هذه المنجزات، فوُجِد ما يسمى بقاموس خاص له مفرداته المستقاة من هذا العلم ومن منجزاته ووجدت القصيدة الحديثة (الإلكترونية) مثلاً كما قام بمقاربتها وصياغتها الشاعر أحمد فضل شبلول من مصر والشاعر يوسف رزوقة من تونس وسواهما.

أما بخصوص تجربتي الشعرية فلقد بقيت بمنأى عن هذا التجريب المستعين بالمخزون الذاكراتي المعلوماتي لأني بصراحة مازلت أنتمي إلى قافلة الشعراء الفطريين أو الرعويين، والسبب أنني من جيل لم يتكيف بعد في هذا الطقس، ولا يرفضه لأهميته، مع التأكيد بأن الشعر عاطفة أولاً وأخيراً وهي (المايسترو) لفرقة (الأوركسترا) المؤلفة من أفكار ومن فلسفة ومن سياسة ومن علم ومنجزات مهما كانت مهمة وعملاقة!

* ما هو تقييمك للشعر العربي الحديث.. وهل بإمكانه الارتقاء إلى درجة العالمية؟

إذا كان المقصود بالعالمية وصول شعرنا العربي الحديث إلى شعوب العالم، فإننا مقصرون تجاه ذواتنا، إذ مازلنا نخاطب بعضنا بلغتنا العربية الخالدة منذ عقود من الزمن،

نقف مذهولين أمام تجارب شعراء العالم، نتلقف ما تنتجه القرائح الأجنبية، الأوروبية والأمريكية على وجه الخصوص، ولا نترجم قصائدنا إلى اللغات الأخرى إلاّ بقدر محدود من نتاج شعرائنا المعاصرين.

أما إذا كان المقصود من العالمية وصول إبداعنا إلى مستوى رفيع جدير به أن يخلد وأن يدلف إلى رحاب العالمية ولا أكون فاعلاً إذا قلت بأن هذا الإبداع أو أبرزه يحقق شرطه الإبداعي والإنساني سواء بتناوله موضوعات إنسانية أو بتقدمه التقني جمالياً وفنياً بل إن شعر الآخر أعني موضوعات بعضه في ديار الغرب لا يرقى إلى مستوى ما تعالجه قصائدنا العربية المعاصرة، فثمة شعراء غربيون مثلاً، حصروا معاناتهم في دائرة حبهم ورفقهم بالكلاب أو القطط ليس إلاّ!؟.. ولعل جائزة نوبل، كما يعتقد أغلبية أدبائنا وكما يتوهمون هي الباب الأهم والأوسع والأخلد الذي يفضي بالأديب إلى العالمية!

ومن الإجحاف بمكان أن ننفي ما أضافه الشعر الحديث إلى تراثنا الشعري العربي القديم وإلى التراث الشعري في العالم، إذ بدأ يشكل تراثاً من مختلف الأطياف منذ بدأ خطواته الإحيائية والتجديدية والتجريبية، وأفاد من تقنيات المسرح والسينما والإنترنت والقصة والدراما، والفن التشكيلي والموسيقا والسيمفوني في صياغة القصيدة الجديدة، وضخ دماء جديدة في معماريتها، إضافة إلى ما يسمى بشعر الأطفال، أقصد الخاص بالأطفال والمسرح الشعري إلخ، وإذا ما حاول نقادنا تحضير موسوعة شعرية تُسوِّق إلى العالم من خلال النظر إلى الكأس ممتلئاً نصفها فسينجحون.. وإلاّ فالأمر سوف يختلف إذا ما كان ديدنهم إحصاء الأخطاء فقط التي اقترفتها الحركة الشعرية الحديثة بحق نفسها، إذ عزلت نفسها عن الناس بذريعة التفوق الجمالي والوقوع فيما يسمى بأوهام الحداثة، وتقطعت الجسور الواصلة ما بينها وبين المتلقي، بهذا المتلقي الذي شعر بأن (نخبوية) ما تتعالى عليها بطلاسمها، ورموزها المعقدة، ولغتها واستغرابها المتطرف، وأن أي وضوح وأي ضوء ينير النص الإبداعي ستنعته هذه النخبة بالمباشرة وسوى ذلك!

كما أن المغالاة في التجريب أوقعت الشعر الحديث في إشكاليات هو بغنى عنها، كما أن القصدية في ركوب الموجات الوافدة التي هي أشبه بصرعات وتقليعات الأزياء، أدى إلى المزيد من الضياع من جهة، وإلى تناثر النص (وفبركته) وفسح المجال واسعاً أمام المتطفلين من جهة أخرى مما جعل الشعر أشبه بحديقة بلا سياج!

أعود فأقول: إن التزام الشاعر بالصدق النفسي والفني، والابتعاد عمّا يسيء إلى القصيدة، وتحقيق المعادلة التي توازن في النص ما بين الجمالي والتوصيلي، وما بين معطيات التراث العربي والإسلامي وبين التراث العالمي، والانطلاق إلى العالمية من حيث يحقق الشعر شرطه الجمالي والإنساني بالتماس المباشر مع محلية بدون تقوقع، هذه المحلية التي أهّلت مثلاً نجيب محفوظ إلى العالمية،

ورسول حمزاتوف بـ(داغستان بلدي) إلى تخطي الحدود، والكثيرين من الشعراء الذين لهم حضور واسع بفضل إخلاصهم وتفانيهم وحبهم لأوطانهم ولناس هذه الأوطان.

المحلية تفضي إلى العالمية إذا ما توفر لها مبدع حقيقي ومخلص حتى الثمالة. وإلاّ سمعنا ممن نقلّدهم من أدباء الغرب ونحذو حذوهم: (بضاعتنا رُدَت إلينا) وفي هذا السياق أتساءل: لماذا نتأثر بهؤلاء على الدوام؟ لماذا لا تؤثر إبداعاتنا بهم؟ وتحضرني هنا تجربة تحدث عنها الشاعر يوسف رزوقة كانت لافتة ناجحة بتأثر شعراء فرنسيين ببحور الشعر العربي، هذا الإرث الموسيقي الرائع إذ أفادوا منه أيما إفادة في تجريبهم ومثاقفتهم، هذه التجربة – لا ريب – تفترق عن تجارب شعرية عربية معاصرة هي إلى الاستلاب أقرب، فهي تجارب لا روح فيها.

* أنت تعتبر من أغزر الشعراء السوريين كتابة في سورية، والوطن العربي.. هل تفكِّر الآن في نشر أعمالك الشعرية الكاملة؟ وما هي الأعمال الجديدة عندك الآن؟

لعل استمراري بنشر قصائدي، ومنذ عقود من الزمن، إضافة إلى الزوايا الأدبية والآراء النقدية والحوارات في الصحف والمجلات على مستوى الوطن العربي أوحى إلى المتلقي بأني غزير النتاج فضلا عمّا تركته تجربة المجموعات الشعرية المشتركة مع شعراء من سورية والأردن ولبنان ومصر وتونس والمغرب التي عُرفتْ بها من آثار تعزز هذا الانطباع الذي أعتز به وأفتخر، حيث أني من الشعراء العصاميين الذين شقوا طريقهم منذ بداية الستينيات بعيداً عن أي جدار استنادي أتكئ عليه، سوى التفاني والإخلاص والاحتراق في محراب الحرف النبيل والجميل، متحدياً شتى الظروف الصعبة من معيشية وسواها، فإن تعلقي بالشعر بلغ حد التولّه والعشق والتضحية بشتى لذاذات الحياة، بعيداً عن أي مؤثرات خارجية خاضعة للتسويق الثقافي ولمقولة العرض والطلب، متنسِّماً فيما أعتقد وأكتب ما يتنسّمه الطائر الطليق إلى حد حدا بأحد النقاد الأكاديميين أن يقول عني: ".. ليس ربيب مدرسة ولا صنيعة مؤسسة بل هو في عرف المجتمع نبتة برية اختارت تربتها نسميها بمعاناة ذاتية عصامية وشكلت صورها عن الفن والإنسان والكون خارج النواويس والحجر الاصطناعية".

بعد هذا الاستطراد الذي لا بد منه، مثابراً مازلت على هذا الطريق، ومتواصلاً مازلت مع القارئ الذي أحرص على توصيل كلمتي إليه، ومتى فرغت من طباعة ما تبقّى من شعر لم ينشر في مجموعات، سأعمل جاهداً على طباعة الأعمال الشعرية الكاملة بالاتفاق مع دار نشر تساعدني على تخطي عقبات التوزيع كي تصافح قراء الشعر في كل مكان من الوطن العربي وسواه.. وبعد ذلك أعمل على تنفيذ ما أطمح إليه من نشر كتب في النقد الأدبي والزوايا والحوارات الأدبية.

إبداعٌ بلا هوية

بقلم:
محمد فؤاد القيق

إشكاليةٌ لم تجد حلاً بعد وحرارة الحوار في الساحة الثقافية متغيرة، حسب درجة الاختلاف ولا أدري هل يتأتى ذلك من خلفيات إيديولوجية مثلاً، أو تراثية أو عدم معرفة آلية هذا الوجود، بدءاً من أصغر وحدة بنائية إلى اتساع هذا الكون.

إن التطور ضرورة حتمية بالحياة، ولولا الانفتاح الواعي ما تقدمت البشرية على كافة المستويات العلمية والفكرية والإنسانية إلى غير ذلك، وكلها تدور في فلك الإنسان لترقى به إلى أعلى الغايات المنشودة.

والشعر أنموذجاً فالانفلات من فضاءات القصيدة العمودية لم يأت مصادفة، بل الضرورة أدت إلى ذلك، والتطور فيها لم يكن عفوياً بل كان ضمن سياق صيرورة الحياة.

إن اتساع المعرفة، يستدعي اتساعاً يواكبه كتقابل حتمي كي يظل التوازن قائما دون أي خلل.

فالقصيدة مؤطرة بضوابط بنائية وفنية ، تجعلها غير قادرة على استيعاب الطاقة الفكرية المتولدة، عن التراكمات المعرفية بصورها الحداثية.

إن ترهل القصيدة بمعطيات الماضي وابتعادها عن لغة الواقع الشعرية وعدم قدرتها على احتضان ما تفيض به الحالة الإبداعية بعد تدفقها، كل ذلك يحد من طاقتها الداخلية وقد يؤدي ذلك إلى اضمحلال ذاكرة الوعي واللاوعي في الذات.

لذا قدّر لقصيدة التفعيلة أن ترى الحياة، رغم أنها محدودة المعالم بشواطئ التفعيلة، وأحياناً بالقافية، لكنها ظلت قاصرة عن احتضان ما نصبو إلية.

حتى انبثقت قصيدة النثر امتداداً لما سبق، بفضاءاتها المفتوحة حاملة الحالة الإبداعية بكل مكنوناتها الفكرية والحداثية، والتي تسبق واقعها الشعري والجمالي. إنها قصيدة اللا محدود لما تحمله من حرية إبداعية ، علاوة عن تلاحمها في خلق بانوراما شعرية تتشابك بها كل المعايير والألوان، لتعكس بالمحصلة حالة شعرية تنسجم مع الإبداع الذاتي داخلياً وخارجياً.

إن حرية الطرح إبداعياً وجمالياً، ضرورة تؤدي إلى فتح آفاق جديدة، وغير مسبوقة في الشعر العربي وهذا ما يدعونا إلى الوقوف أمامها ملياً.

إن رفض القصيدة النثرية أو التعامل معها بقلق، يعود إلى أسباب عديدة أهمها:

أولاً: لم تأخذ نصيبها من الدراسة الجادة وتحليلها بشكل موضوعي.

ثانياً: لم تفعّل نقدياً وبشكل متأنٍ.

ثالثاً: عدم استيعاب فلسفتها وخروجها عن المألوف وارتفاع درجة الانزياح والغموض.

رابعاً: عدم قدرة المبدع في بناء القصيدة، كما يجب أن تكون بسماتها الخاصة، وخلق منها حالة متوقدة ومتميزة.

خامساً: عدم وصولها للمتلقي بسرعة أو تماهيها مع الفكرة مباشرةً.

إن تشكيل النص ضمن حرية الإبداع، وبحوامل المعرفة والتوهج الفكري، واللغة المتوافقة مع الحداثية بشكلها الأدبي، تجعل من قصيدة النثر منهجاً شعرياً مستقلاً، وهي ليست هروباً من الضوابط كما يعتقد البعض.

مثال: إن اتساع المعرفة يؤدي إلى اتساع الفكر والخيال ضمن بوتقة الطاقة العقلية، ويخلق خيارات غير متناهية، ما يجعل المبدع يغوص في بحر من الاحتمالات ضمن حالته الإبداعية ليسقطها على القصيدة بأفضل الخيارات، وهذا ما ينعكس بشكل تشابك الألوان الفنية وعدم تناهي الأبعاد وقد يقول قائل إن الشعر الجاهلي وما تلاه من أورع ما أنجز من الشعر حتى الآن أقول نعم ولكن ضمن معطيات عصره فقط.

وفي هذه العجالة إن في الحياة ما هو جميل وما هو أجمل، وتبقى المعايير نسبية وبالمجمل إن الحالة الإبداعية هي التي تفرض شكل القصيدة في أكثر الأحيان، لأن الحالة الإبداعية ليست مسبقة الصنع

وإشارة إلى ما سبق هل نستطيع أن نعطي هوية لهذا الإبداع تحت مسمى قصيدة النثر بدلاً من النص النثري.




طيوف الأحبة..

شعر: عصام شعبان

هَلَّتْ كَأَقمارٍ طيُوفُ أَحِبَّتِي
فانْهَلَّ دَمْعِي كالسُّيولِ حِيالها
يا دَهْرُ نبِّئهُمْ بِذنْبي عِنْدَهُمْ
هَلْ أنَّ ما تأْباهُ نَفسِي نالها؟
قَدْ شاقني طولُ الفِراقِ وَبُعْدَهُمْ
ما شاقَ نفساً في الصِّبا تِذْكارُها
أَهُوَ الحَنِيْنُ وَلوْعَتي في بُعْدِكمْ ؟
وَزَفيْرُ نفسٍ فارَقتْ أحْبابَها ؟
أَمْ أَنَّ عَهْدَ الشَّوْقِ رَاوَدَ مُهْجَتي
فتلهَّبَتْ في ضامِري نِيْرانها
ما كُنْتُ أَنْسى عِندَ يأْسي طيْفكمْ
في غُرْبَةٍ قدْ أَوْثقتني حِبالها
مَهْلاً عَلى سُنَنِ الزَّمانِ فَإنها
تلقي عَلى صَدْرِ الكئيْبِ جِمارَها
أَسَفي عَلى تِلْكَ السِّنينَ وَزَهْوَها
تمْضِي فَتتلو الحَادِثاتُ إيابَها
أَيْنَ الليالي الزُّهْرِ أخْفتْ بَدْرَها ؟
وَخَلا النسِيْمُ العَذْبُ مِنْ جَنباتِها
رَحَلَ الأَحِبَّةُ ما دَرَوا عَنْ حالتي
وَعَنِ الحِمى عَنْ رَوضِها وَدِيارِها







هَـذا الـذي حُكـمُ السَّـماءِ قضَـى بِـهِ
جئنـــا الرُّبـــوعَ فغُلقَـــتْ أبْوابُهـــا
للهِ أيَامـــــاً قضَـــيْتُ بقـــرْبكمْ
مــا كــانَ أَهْنـاً مـا قضَـيْتُ زَمانَهـا
قــدْ كــانَ مَطلــعَ وَجْهكــمْ وَجَبيْــنَكمْ
ضَـــوْءُ النهـــارِ وللـــدُّروبِ مَنارَهـــا
صِــرْنا نمُــرُّ عَلــى الــدّيارِ حَزِيْنــةً
إذْ كــانَ في صُـبْحِ الوِصــالِ نهارَهــا

يــا نــاظِرَ الأَيّــامِ جُــدْ لِــيْ بالبُكــا
جَفَّـتْ دُمـوعي مـا دَنـتْ أخْبارَهـا
لا تنكِـــروا شَـــكوَ الحَـــزِيْنِ وَبَثّـــهُ
يَصِــلُ الــدُّمُوعَ ولا يَفِــي آجالهــا
لكــمُ الحَيَــاةُ وَطِيْبُهــا وَهَناءهــا
وَلنـــا الـــبَلاءُ مُقسَّـــماً بشَـــقائِها
إنْ تـــذْكرونا ســـادَتي فهُـــوَ المُنـــى
والهَجْـــرُ مِـــنْكمْ سَـــالِفٌ بِمَرارِهـــا
يــا راكِبـاً عَـرِّجْ عَلـى تِلـكَ الحِمـى
واحْـــنِ الجَبَـــيْنَ مُقَـــبِّلاً لِترابهـــا
فـــدَعِ العِتـــابَ وَخُصَّـــهُمْ بِتَحِيَّـــةٍ
واجْعَـــلْ ســـلامَ اللهِ مِسْـــكَ خِتامِهـــا
تِلـــكَ الـــدِّيارُ تَجـــاهَلتني بَعْـــدَما
أَفنيْـــتُ عُمْـــري قاصِـــداً آثارَهـــا
فعَلــــيْهُمُ مِنّــــي سَـــلامَ مُوَلــــهٍ
مــا غَنــتِ الأَطيــارُ فــوْقَ أضــالِها




البؤس والألم في شعر أبو القاسم الشابي

بقلم:
لينا حمد عريج

يقول الدكتور شوقي ضيف: كان الليل عنده رمز البؤس والهول عذاب الجحيم. وهتف إلى النور في مئة وتسعة عشرة موضعاً مردداً هذه الألفاظ. شعلة نـور الفجـر الضـياء شـعاع. وغيرهم كثيرون.

ويعتقد الأستاذ علي سعد: أن قصائده التـي عبر فيها عن كآبته وسأمه وآلامه أكثرها من منظومات قبل العشرين إمعاناً في الذهاب عـن أثر العمر في التكـوين عنـد الأدبـاء وعنـد الشابي.

وهنا نرى أنه ليس العمـر وحـده وإنمـا نضوجه المبكر ووعيه الذكي للواقع ولما حوله يرفد هذا كله حيوية متأججة تلهبه فيأبى إلا أن يسهم في الهدم والبناء.

أما الأستاذ محمد الصادق فيـرى أن الألـم منتشر أيضاً في جل شعره فقلما تجد الشـابي يطرق موضوعا ولا تلقاه متألما جاعلا مغـزى موضوعه الألم.

وما إلى ذلك إلا لأن شاعرنا ألطف النـاس حساً وأشدهم ألماً.

أما الأستاذ دسيس فيضـيف إلـى قائمـة الأسباب سبباً غريباً إنه الزهـد فـي الحيـاة: فشعره قد احتوى الكثير من اليأس في الحيـاة والامتعاض من آلامها وأظن أن هذا ما جـاء للشابي إلا من ناحية البؤس والشقاء والزهـد في الحياة وزينتها. فمـن الواجـب أن تكـون تعاليم فلسفته في شعره وأن يكون شعره هـو القيثار الذي يترنم بفلسفته وميوله وآرائه في الحياة. بسبب ما كان يقاسـيه مـن مصـائب الزمان وأمراض مستعصية. وما أحسب الشابي زاهداً في الحياة وإن شقي بها.. وإلا ما كـان ليتحسر عليها كل هذه الحسرات لو كانت هينة

في عينيه لا تستهويه ولقد جاء الشابي بالشكوى إلى الله تعالى وأفصح عن أسبابها في شبه إحصاء فلم يكن الزهد من بينها ولنراجع الأسباب سوية فنسمعه يقول:

أنت أنزلتني إلى ظلمة الأرض
وقد كنت في صباح زاه
ثم خلقتني وحيداً فريداً
بين داعٍ من الرياح وناه

وبالطبع بعد هذا كله يعود فيقول:

وإذا فتنة الحياة وسحر الكون
ضرب من الغمام الزاهي
يتلاشى فوق الخضمّ ويبقى اليمّ
كالعهد مزبد الأمواه

إنه يعيش.. وحدة.. غربة.. دقة حس.. أسى وسقاماً هماً ويأساً.. وشقاء إنه حشد من الأسباب وليس سببا واحداً.

كما يذهب في التعليل ناقد أو آخر. وكما فعل الأستاذ محمد الحبيب في عرضه لحزن الشابي فقد أشار الكاتب إلى حب الشابي وقرر أن حزنه كان نتيجة صدمة عنيفة. بقي أن نرى سائر التفاسير عل بينها ما يغني أو يقنع.. يقول الكاتب: أما أحواله الخاصة فقد كانت على درجة محمودة من العيش ولم يعرف عنه التهالك على حسب ملذات الحيّاة. وأما مرضه فقد صادف شاعرا كامل الأداة.

فليس في أحواله الخاصة ما يعلل أحزانه. وأعتقد: أن مرضه وفقدان حبيبته بوجه خاص، ومن ثم فقدان أهله وذويه هي الأسباب الأساسية في موت الشاعر، أضف إلى ذلك محنة الوطن حيث كانت تونس ترزح تحت الاحتلال الفرنسي في ذلك الوقت). ولا ننسى أيضاً أن في قلب الشابي جرحاً غائراً يخيل إليه معه أن البرء منه بعيد وهو يلح عليه حتى في سبحاته الشعرية فيحد من انطلاقه فيقول:

فيك إن عانق الربيع فؤادي
تنثني سنابلي ووردي
أنت يا شعر إن فرحت أغاريدي
وإن غنت الكآبة عودي

أبو القاسم الشابي يستبعد والفرح حتى أنه يعلن أن الكآبة تجسدته حتى لكأنها تمشي على قدميه وترى بعينيه فإن جاز أن تغني الكآبة فلْيغنّ هو الشعر وما أحوجه إلى الرثاء فيقول:

إلى الموت إن حاصرتك الخطوب
وسدت عليك سبيل السلام
ففي عالم الموت تنضو الحياة
رداء الأسى وقناع الظلام
وتبدو كما خلقت غصةً
يفيض على وجهها الابتسام

وهو حين يرقرق الشعر العازف المطبق الجفنين يأخذني منه تهويله عليه الآلام حين توقعت منه أن يهون عليه ويغريه بالعزاء يجسمه له في هبة من الفن وسحر النغم لكن قلب أبو القاسم مفعم بالمرارة فهو يرى أن الحياة قفر مروع ماؤه سراب.




دعوني..

شعر: محمد عبد الحكيم دبدوب

دعــــوني أنتشـــي حبّـــاً دعـــوني
وعـــن هـــذا الهـــوى لا تمنعـــوني
دعـــوني أُتقـــن الإخـــلاص حُبّـــاً
و"بـــالمجنون" في ظُلـــمٍ صِـــفوني
ليـــالي الحـــبّ لا تُنســـى وإنّـــي
فِـــداها بـــالفؤادِ وبـــالعيونِ
ليـــالي الحـــبّ لا أرجـــو ضـــياعاً
لنجواهـــا، وأنْ تغفـــو جفـــوني
أنـــا يـــا نـــاسُ قـــد أحبَبْـــتُ زهـــراً
قـــد اعتـــاد التّفـــتُّحَ في المُتـــونِ
أنـــا يـــا نـــاسُ قـــد أحببـــتُ دُرّاً
مضـــى في الـــيمّ كالسّـــرِّ الـــدّفينِ
وقلـــبي اعتـــادَ أن يبقـــى ســـعيداً
بنـــورٍ هـــلّ مـــن قلـــبٍ حنـــونِ
وقلـــبي اعتـــاد أيّامـــاً طِـــوالاً
بهـــا انتظـــرَ الوِصـــالَ علـــى الأتـــونِ
تبادلنـــا السّـــلامَ بكـــلّ شـــوقٍ
وعشـــنا السّـــحرَ في أحلـــى سُـــكونِ
تحاورنـــا بقلبينـــا وقُلنـــا
بعينينـــا غرامـــاً في شـــجونِ







تســـامرْنا وكـــمْ فِعـــلاً رجونـــا
ريـــاحَ الوصـــلِ، الـــدّفء المُـــبينِ
ســـويعاتٌ قـــد التهبـــتْ خلـــوداً
بحـــبٍ لـــيس يرضـــى بـــالأنينِ
ســـويعاتٌ أزاحـــتْ عـــن فـــؤادي
جـــراحَ النّائبـــاتِ،وعن جبـــيني
أخـــيراً عشْـــتُ حُبّـــاً كـــانَ حقّـــاً
قويـــاً صـــادقاً مـــن غـــيرِ بَـــيْنِ
وأضـــحى غـــايتي وربيـــع عمـــري
شـــراعاً جـــاء كـــي يهـــدي ســـفيني
وحُبّـــاً جارِفـــاً أحيـــا وُرودي
وزالَ بطيفـــه الصّـــافي أنـــيني
ففـــي هـــذا الرّبيـــعِ الصّـــرْف إنّـــي
أُســـرْتُ وفي ثنايـــاهُ، دعـــوني
وفي بحـــرٍ مـــن الشّـــهْد المُنَـــدّى
وأســـيافٍ مـــن النُّـــورِ اتركـــوني
وفي طِيْـــبٍ وعطْـــفٍ طـــيرَ حُـــبٍّ
إلى شـــبّاكِ ديمـــةَ أرســـلوني
وفي عشـــقٍ وود فـــيضَ شِـــعرٍ
لديمـــةَ نقّحـــوني واقرؤونـــي
ويـــا محبـــوبتي حُبّـــي تهـــادى
إليـــكِ مَحـــارةً، فالـــدُّرَّ كُـــوني




قراءة في مسيرة الكاتب

صالح هواش المسلط

بقلم:
عبد المجيد إبراهيم قاسم
mejeed@scs-net.org

(لم تصنعني المصادفة، فما زالت تلك الوريقات الصفراء القديمة التي رسم الزمن بصمته المعهود عليها، خير شاهد على المعاناة والتعب).

هكذا بدأ الباحث والشاعر "صالح هواش المسلط" الحديث عن مسيرته الأدبية الحافلة بالإنجازات، وبالكثير من المعاناة.

كان أول بزوغ لموهبته في بداية المرحلة الابتدائية، حين شعر بميولٍ نحو كتابة الشعر، وبخاصة للأطفال، ومما كتب آنذاك، نورد هذا المقطع:

شجيرة التفاح ثمرها قد لاح
وزهرها الفواح يعطر الأفراح
وبيتنا الوضاح قد زانه المصباح

ومنطقة الجزيرة السورية التي ينتمي إليها، لهي أشبه بلوحة الموزاييك المتناغمة، حيث تتعدَّد فيها البيئات، وتتعانق الثقافات، فتؤثِّر وتتأثر في بعضها البعض.

ومن المعلوم أن الأدب كونه الروضة العطرة في بساتين الثقافة، والرافد الأساسي لنهرها المتدفّق، فإنه يأخذ جلَّ مقوماته من ذاك التنوّع والتمازج، ومن هنا امتلك (المسلط) إرثه الثقافي والفكري، متشرباً مفردات التراث الحقيقي.

ينحدر أديبنا من بيت ريفي عريق، كان يعدُّ بمثابة أكاديمية علمية سياسية اجتماعية، تعلَّم فيه القيم النبيلة والأخلاق الكريمة، فانطلق محملاً بتلك المبادئ والأفكار، وجاهد في إيصال رسالته الإنسانية، فانصهر وجدانه مع مجتمعه الجميل، وأسسه الاجتماعية والثقافية الممتدة في الأصالة؛ ليجد ذاته أمام خلقٍ بشري؛ تملؤه الأحاسيس المرهفة والكلمات الجميلة. وكانت لتنقلاته بين البادية والريف والمدينة أثر كبير في اكتساب الكثير من التجارب حول الواقع والإنسان، وساهمت في تكوين وصياغة شخصيته الأدبية. يقول أديبنا عن الأسرة التي نشأ وترعرع في كنفها: (تعلمت من تلك الأكاديمية أصول وتعاليم ديننا الحنيف، كما تعلّمت حبَّ الوطن والإخلاص لترابه، كيف لا، وقد نهلت ثقافة حب الوطن والذود عن قداسة تربته من مدرسة جدّي المجاهد الشيخ "جميل المسلط الملحم" الذي جابه بكل إيمان وصبر، غطرسة المستعمر الفرنسي، ورفض كل إغراءاته المادية والمعنوية).

دخل الكاتب والباحث صالح هواش المسلط الجامعة، وعمل في حقل التدريس لعدة سنوات، حصل على إجازة الحقوق، تفرغ بعدها كلياً لكتاباته وبحوثه، انضم إلى الهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب بعد حصوله على عضوية الهيئة العائدة لاتحاد المؤرخين العرب التابعة لجامعة الدول العربية.

وأصبح عضواً في رابطة الأدب الإسلامي العالمية ومقرها (الرياض).

تتنوَّع أعمال "صالح هواش المسلط" وتتوزَّع بين الشعر والدراسات وأدب الأطفال، كما وأصدر العديد من المؤلفات والأعمال الأدبية وهي:

أولاً- أربعة دواوين شعرية هي (أبو سعدي) (حكايا النورس العائد)، (رسالة من بحر الظلمات)، (الحب والهاتف).

سُئل الكاتب مرة لمن تنظم قصائدك؟ فأجاب: أنظِّمها للإنسان أولاً وأخيراً، فالإنسان هو الكائن الحيوي الفاعل في الحياة. وعن أجمل قصيدة له قال: (لكل قصيدة حالتها الخاصة بها، ولكل قصيدة من قصائدي نكهتها وسحرها الخاص، لكنهن لم يجتمعن في واحدة لأقول هي أجمل قصائدي).

ثانياً- أما المؤلفات البحثية له فهي كما يلي: (مجلد في أنساب العرب العاربة)، (صفحات منسية من نضال الجزيرة السورية)، (تراث الجزيرة السورية)، (العرف والعوارف عند قبائل البدو)، (الخيول العربية الأصيلة)، (من شيوخ عنزة وفرسانها)، (داهية من الصحراء)، (إمارة الجبور)، (جوانب من نضال المرأة في الجزيرة السورية) آخر إصدارات الأديب، والذي جاء في /١٦١/ صفحة من القطع المتوسط. ضمَّ الكتاب ثلاثة فصول، تحدَّث الأول عن المرأة في الجزيرة السورية

قبل التاريخ، والثاني أبحاث وإحصائيات عن المرأة في الجزيرة السورية، وتناول الثالث أدب المرأة في الجزيرة السورية.

استطاع الكاتب توظيف براعته في امتلاك الأدوات الإبداعية لشتى الأشكال الأدبية التي عكف عليها، منطلقاً في كتاباته من حسٍ إنساني غاية في السمو والرفعة. تركزت جلّ اهتماماته - في جميع كتاباته - على الهم الوطني والقومي والإنساني المبني على التسامح والمحبة.

ثالثاً- وضمن قائمة إصدارات الشاعر والباحث الثرية، أعمال شعرية موجَّهة للأطفال؛ حيث صدر له ثلاث مجموعات شعرية وهي: (رائد الفضاء والأطفال)، (الإخلاص لله)، وديوان شعر لليافعين والفتيان بعنوان (من أجدادي)، وهو إصدار يتحدَّث عن علماء وأبطال عرب أفادوا الإنسانية، صادر عن مطبعة آفاق - الحسكة عام /١٩٩٤/ ويقع في /٨٦/ صفحة من القطع الوسط، ويضمُّ الإصدار /١٤/ نصاً شعرياً، يقول في إحدى قصائدها عن (خالد بن الوليد):

يا جدنا يا ابن الوليد
أرجع لنا الماضي المجيد
فالقدس تبكي تشتكي
من ظلم أحفاد اليهود
ولـيّ الأمر وقاد الجيش
سارَ به لبلاد الشام
حقق في وادي اليرموك
أروع نصرٍ للإسلام
جدي يدعى: سيف الله
من أسماهُ... من أسماه؟

وفي مجال الكتابة للأطفال وعن الطفل يقول كاتبنا: (الطفل هو مستقبل هذه الأمة، ويعوَّل عليه جبر خاطرها المكسور في زخم الأحداث والمعضلات).

ويقول أيضاً في موضع آخر: (لأنهم ركيزة المجتمع ومستقبله المشرق، والذي نطمح من خلالهم أن نحقق ما عجزنا نحن الكبار عن تحقيقه، في المستقبل للأمة والإنسانية أجمع، وكذلك تنمية لرغباتنا الطفولية في تحقيق ما تصبو إليه من آمال وأمنيات كبيرة لم نحققها بعد).

كما وللشاعر مسرحيات شعرية غنائية للأطفال منها مجموعة بعنوان: (هيا إلى العمل) يقول في مجالها: (هي تجربة صعبة جداً ولكنها ممتعة ومثيرة لبواكير التكوين الفكري للعقل البشري؛ لذلك هي تأخذ جهداً أكبر ووقتاً أطول).

شارك الباحث في الكثير من المحافل الأدبية على المستوى المحلي والعربي والعالمي. فعلى المستوى العربي: شارك في مهرجان "الفاتح من أيلول" في الجماهيرية "الليبية"، ومهرجان "الكويت" الثقافي، ومهرجان "الخالدية" للشعر النبطي في"المملكة الأردنية".

نال عدة جوائز هي:

جائزة المركز الثقافي بالحسكة عام /١٩٨٤/.

جائزة الأدباء الشباب للمنطقة الشرقية عام /١٩٨٥/.

جائزة المعلمين الأولى في المهرجان الموسيقي الغنائي الأول بدمشق /١٩٨٦/.

جائزة الوفاء للباسل عام /١٩٩٥/.

جائزة التصحيح عام /١٩٩٧/.

ونال المرتبة الأولى لجائزة "الشارقة" للإبداع العربي - الدورة الأولى /١٩٩٦ - ١٩٩٧/ عن مجموعته (رائد الفضاء والأطفال) والتي قال فيها:

(جائزة الشارقة للإبداع العربي هي تكريم لكل المبدعين العرب، كلٌّ في مجال اختصاصه، ولبقية الفنون الأدبية).

يقول الشاعر في إحدى قصائدها:

جـــدي يـــا جـــدي الفـــلاح
جـــدّي يـــا جـــدّي الفـــلاّحْ
بُـــورك زنـــدك كـــلَّ صـــباح
وجبينـــك يبقـــى وضـــاحْ
يعـــرقُ بـــالعطرِ النضـــاحْ
يلـــثمُ شمســـاً كـــلّ صـــباح
ويغـــني في الكـــفّ المنجـــلْ
يُنشـــدُ للفـــلاح الأسمـــرْ
أجمـــل أغنيـــة للبيـــدرْ
يجـــني قمحـــاً أو أقطـــانْ
يحمـــل خـــيراً للأوطـــانْ
جـــدّي يـــا جـــدّي الفـــلاحْ

ويقول في أخرى بعنوان "رائد الفضاء":

أمنـــيتي يـــا أصـــدقاءْ
أن أرتقـــي إلى الســـماءْ
أصـــبحُ نســـراً بطـــلاً
أكـــون رائـــدَ الفضـــاءْ
أطـــيرُ في مركبـــةٍ
نحـــو النجـــوم والقمـــرْ
أرى المجـــراتِ أرى
هنـــاك أشـــكالَ.. صـــورْ
وعنـــدها يـــا أصـــدقاءْ
تكـــونُ رحلـــةُ الفضـــاءْ

ولا يزال الشاعر والباحث "صالح هواش المسلط" يعكف على البحث والكتابة لأنه يرى فيها المعنى الحقيقي للحياة، ذلك المعنى الذي استمده من إنسان هذه البيئة، إنه لا يكتب انطباعاته فحسب، ولكنه يؤرخ مسيرة الحياة في هذا المكان الذي ولد ونشأ وترعرع فيه. فهو يرى أن أفضل مهمة توكل إلى الكاتب هي أن يصور أناس عصره.. ونظام حياتهم، وعلاقة الأجيال وتفاعلها.